الأيام أصابها التمزق، وكان محمود باشا يملك نصف القوة البابانية، أما النصف الآخر فكان قد انحاز إلى جانب أعدائه، فلم تبق تحت تصرفه إلا قوة مؤلفة من أربعة آلاف شخص تضاف إليها قوة إيرانية مكونة من عشرة آلاف شخص، فكان مجموع هاتين القوتين البالغ أربعة عشر ألف شخص يقف بوجه قوة بابانية معادية مماثلة لها في العدد إضافة إلى قوات بغداد والبصرة وكركوك وآلتون كوپرى وأربيل وكويه وحرير التي كانت تتجاوز أربعين ألف شخص. ومع ذلك فإن هذه القوة العظيمة الهائلة ما كانت لتجد في نفسها الجرأة على التقدم من مواقع الدفاع إلى مواقع التعرض والهجوم، ولم يكن هذا إلا بتأثير نور الهداية التي ترجح جانب الحق على جانب الباطل، لأنه لم يكن بالإمكان العثور على خطأ يجعل محمود باشا مستحقا لما تعرض له مهما كانت نقطة النظر التي ننظر منها إليه. فإذا كان هناك خطأ ارتكبه فهو إنه جعل داود باشا ينال مقام الإيالة والوزارة، ولم يكن هذا مما يعد وبالا قليلا، ولكنه تمسك بذلك نتيجة لنواياه الطيبة وغلبة صفاء قلبه عليه.

كان داود باشا قد ضلل الباب العالي بشأن مشاكل العراق هذه التي لم تكن ناجمة إلا عنه هو وحده، بأن فكرة الهجوم الإيراني للاستيلاء على العراق كانت بدلالة محمود باشا وإغوائه. وعلى هذا فقد أعلن الباب العالي الحرب وتعرض بسبب من حالة الحرب هذه التي أعلنها إلى تحمل نفقات باهظة ولاسيما أن هذه المشكلة قد حدثت في ظروف مشاكل مهمة إدارية وسياسية كانت الدولة العلية منشغلة بها في تلكم الأيام وشلت جهودها ومساعيها بشأن الأمور السياسية المهمة.

آنئذ، وبعد أن أوصل داود باشا حمى الحرب إلى هذه الدرجة، لم ير من الضروري مزيدا من إلهابها لأن عودة حكومته إلى حالة الخلاص من التمزق كانت تتوقف على مجرد تحرير حكومة السليمانية من التعرض لها، الأمر الذي كان دوما من الوقائع المشهودة العادية. ولأن هذه القضية كانت قضية تديرها أصابع داود باشا، كان وقفها عند أي نقطة يراد دفعها عندها يتوقف على رغبة المشار إليها. لكن الغاية السياسية لداود باشا في هذا المضمار كانت منصبة على أن يفهمَ الباب العالي كيفية قابلياته الإدارية وقدراته السياسية، ولكن لو لم يُبد توقُّد جذوة المشكلة على هذا النحو، ما كان لانطفاء خدماته أن يكشف عن تلك القدرة والقابلية والإمكان. أما الآن فما دامت غاياته بشأن آماله المعنوية قد تحققت باقتحام العملية والخوض فيها فإن أوان تهدئتها قد حل. ولذلك دخل في مفاوضات مع علي ميرزا، وفي خاتمة المطاف انعقدت المصالحة

وفق الشروط العادية المحددة وانتهت الاصطدامات على أن يواصل محمود باشا حكومته ولايتحرش به أحد وأن يعطى كويسنجق وحرير عبدالله باشا بتوجيه من محمود باشا (أي على أن يكون عبدالله باشا تابعا لمحمود باشا).

لاشك في أن نجاح محمود باشا في حسمه للمسألة على النحو السالف الذكر، بصورة اعتيادية عارية عن كل أهمية، كان قد جعل الباب العالي ممتنا للغاية من حيث رفعُ مخاطر حرب شاملة. وهكذا فإن الاستفادة المرجوة من علوم داود ومعارفه كانت عبارة عن كيفية لعب الدور ودفعه لأن يلعب.

وإذ كان المسكين حسن بيگ أخو محمود باشا يحكم في قرەداغ بوصفه وليا للعهد، فقد خدعه المهردار عناية الله آغا وأخذه إلى بغداد بالرغم من محمود باشا. مع أنه منح كويسنجق وحرير لقاء وقوفه على الضد من أخيه، إلا أنه لم تمض أسابيع حتى استرجعتا منه وأدخلتا في إطار المعاهدة الناصة على إحالة أمرهما إلى عبدالله باشا. وهكذا لم تبق بالنسبة لحسن باشا، مكافأة له على خيانته، إلا عنوان الباشوية الأجوف الذي لايسمن ولايغني من جوع.

ولكن ما الفائدة إذا كان أمراء البابان قد تورطوا في المنافسات الشخصية بدلا من أن يدركوا المصالح الأساسية التي كانوا يضمرونها في ذواتهم، ولم يكونوا يتعظون بنظائر هذه العبر المادية، فلم تكن هذه الأحداث الحيوية تدفعهم نحو توخي مصالحهم! سار الأشخاص المسهمون في العمليات السابقة، كل إلى المكان المخصص له. أما حسن بيگ، فقد عاد إلى بغداد، ثم توسلت له أمه إلى محمود باشا فعفا عنه فسارت إلى بغداد وأعادته معها إلى السليمانية.

ومع أن محمود باشا تقبل عمه عبدالله باشا في إطار الشروط المتفق عليها، إلا أنه لم يرسله إلى كويسنجق وحرير لأنه لم يكن موضع ثقة في نظره، فخصص له بعض المقاطعات التابعة للسليمانية، وبذلك ضمن له أمور معيشة مرفهة وأسكنه في السليمانية، أما بالنسبة لخالد باشا، فلأن المومأ إليه من ناحيته الشخصية لم يكن قد حافظ على عزة نفسه، ومن جهة انتسابه إلى الأسرة البابانية كان قد أصابه شؤم معنوي لكونه قد تسبب في المهانة لمكانة آبائه وأجداده وشرفهم وقوتهم، فلم يوفر له أي وسيلة لحياة مرفهة، مما اضطره لضيق ذات يده لإسكان عائلته في كركوك والتوجه بنفسه إلى بغداد والإقامة هناك، إلا أن المخصصات الشهرية التي كان يتلقاها لم تكن تكفي لضمان حياة هانئة لهم جميعا. ولذلك فقد ظلوا يعانون شظف العيش وحياة

البؤس والذل.

ولم يكن ابنه محمد باشا الساكن في كركوك قادرا على تأمين معيشة أتباعه البالغين عدة مئات، ولهذا فلم يكن يتوانى عن الاعتداء على أموال الناس وممتلكاتهم ومزارعهم. ولذلك ضج الكركوكيون بالشكوى منه ورفعوا ضده تظلمات عدة، فأنذره داود باشا على ذلك بوساطة والده، ولكنه ما كان ليرضى بالجنوح إلى الهدوء والسكينة لشدة حاجته وفرط ضروراته، فلم تقع الإنذارات والتنبيهات منه موضع التأثير، ولذلك فقد استغفله متسلم كركوك موسى آغا وقبض عليه وألقاه في السجن تنفيذا لأمر صادر من داود باشا، إلا أن ثلاث مئة شخص من أتباعه هاجموا دار الحكومة بعد ذلك بيومين أو ثلاثة وحرروا الموما إليه من السجن وأخذوه معهم إلى خارج المدينة.

وعندما علم داود باشا بما جرى اعتراه الخوف من أن يلتجئ هؤلاء إلى إيران، فقبض على كل من خالد باشا وسليمان باشا ابن إبراهيم باشا في درنه وزج بهما في السجن. وعندما علم محمد باشا باعتقال المذكورين لم يتوجه إلى إيران، بل اعتذر للوزير وطلب منه الصفح وظل في منطقة شوان بانتظار العفو عنه. وبناءً على ذلك عفا عنه داود باشا وأمر كذلك بإطلاق سراح خالد باشا وسليمان باشا. إلا أن محمد باشا كان يخشى رغم العفو عنه أن تدفع به الحاجة وضيق ذات اليد تارة أخرى إلى الوقوع في مهلكة ثانية كتلك التي وقع فيها، ولذلك فقد أخذ أتباعه معه في العام ١٢٣٥هـ وتوجه نحو علي ميرزا. وما إن علم داود باشا بذلك حتى أمر باعتقال خالد باشا مجددا. وكان ليحيى الخزندار اتصالات ومراسلات مع علي ميرزا فألقي القبض عليه وأعدم، كما كان لسليمان باشا بن إبراهيم باشا علاقات مع يحيى آغا الخزندار المذكور فخاف أن يناله مثل ما نال الخزندار، فتوجه مع أتباعه إلى الشاهزاده علي ميرزا، فاضطر داود باشا من جراء لجوء محمد باشا وسليمان باشا إلى إيران إلى إطلاق سراح خالد باشا من السجن.

ولغرض تتبع المصالح الإيرانية وبغية الحصول على رأس خيط، تقدم الشاهزاده علي ميرزا من زهاو نحو قصر شيرين بحجة الصيد حتى بلغ باوەنور. وبالحجة نفسها خرج داود باشا من بغداد وسار حتى وصل قويجات حيث ضرب خيامه. ولئلا يتصور داود باشا أن علي ميرزا يضمر نوايا تتعلق بنقض العهد، أرسل له مقادير من الهدايا وعاد أدراجه، وعاد داود باشا أيضا بعد أيام إلى بغداد.

أما عبدالله باشا، فهو وإن كان قد أبدى لفترة معينة قناعته ورضاه بالمقاطعات التي خصصت له، إلا أن الشبع المعيشي لم يكن مما يهدئ حرارة حرص الموما إليه وطمعه. ذلك لأن الغاية التي كانت يتعقبها والهدف الذي كان يرمي إليه كان في الدرجة الأولى الجلوس على مقام الحاكمية. أجل إن المأكل والملبس والمأوى كل أولئك لم يكن مما يشبع جوعه الناشئ عن الحرص ما لم يفز بنفاذ الحكم.

إنه كان في وضع يجعله يرجح ساعة واحدة من أبهة السلطة على مئة عام من العيش المرفه السعيد.

ولذلك فقد كان مشغولا بالبحث عن إيجاد فرصة يستطيع أن يدبر فيها لنفسه طريقة للفرار إلى علي ميرزا. وما إن توفرت المعلومات لدى محمود باشا عن نوايا الموما إليه القلبية بهذا الخصوص حتى قبض عليه وزج به في ما وراء قضبان السجن. وبعد أن ذاق مرارة الحبس أشهر عدة عرض إنابة زائفة وندامة كاذبة، فأطلق سراحه، وبعد أسابيع قليلة وجد له فرصة سانحة واستصحب أتباعه وفروا جميعا في غفلة من محمود باشا إلى إيران ملتجئين إلى علي ميرزا.

وعندما رأى علي ميرزا أن الباشوات محمد وسليمان وعبدالله قد التجأوا إليه على النحو الذي فعلوا واجتمعوا لديه، لاحظ أن آلة الإفساد التي تتخذ وسيلة للتدخلات وإحداث القلاقل الحدودية قد وقعت في يده، فأطلق لهم العنان وسمح لهم بالقيام بالتجاوزات والمضايقات. ومن أجل أن لايكون هناك إخلال بالتعهد الذي جرى من قبل بعدم تدخل الإيرانيين في أحداث كُردستان، ابتعد علي ميرزا بنفسه عن الساحة بعد أن أذن للهاربين البابانيين بفعل مايحلو لهم.ووفق هذا الإذن الذي حصل عليه محمد باشا تحرك على رأس أتباعه وأتباع الباشوين الهاربين الآخرين وتعدى زهاو وتمكن بيسر من ضرب مواقع خانقين وعلي آباد ونهب أموالاً وممتلكاتٍ ومواشي كثيرة. ومع أن داود باشا بعث بقوة قوامها عشرة أضعاف ما كانت تحت إمرة محمد باشا، إلا أنه عندما وصلت هذه القوة خانقين كان محمد باشا قد وصل كرمانشاه في طريق عودته. وأبلغ داود باشا الباب العالي بأنباء نقض العهد من قبل الإيرانيين وبدئهم المجدد بالاعتداءات، فأصدر الباب العالي أوامره بالسماح بالرد عليهم بالمثل وأرسل قوة مؤلفة من ألف وخمس مئة مقاتل من قوات العصابات للمساعدة على ردع الإيرانيين. وقد وجدت هذه القوة التي كانت بقيادة عبدالفتاح آغا مع قوات البيارق والخيالة وأرسلت إلى موقع زنگاباد. وفي هذه الأثناء كان علي ميرزا قد عاد من طهران ومنح

عبدالله باشا حكومة السليمانية وأعد له جيشا للاستيلاء على المدينة. ولما بلغت أنباء هذه الأحداث مسامع داود باشا ومحمود باشا أرسل داود باشا قوة ثانية بقيادة كهية الإيالة محمد آغا لمساعدة محمود باشا إلى زنگاباد، ولأنهما كانا يعرفان الوجهة التي سيهجم منها الشاهزاده وعبدالله باشا، فقد أوكل أمر الدفاع إلى محمود باشا، كما أبلغ هذا إلى الكهية الموما إليه، وتلاقى محمد آغا الكهية في الموقع المعروف بكوكس في منطقة زنگاباد بعبدالفتاح آغا وتوجه الاثنان على رأس قوتيهما إلى شيروانه واتخذا من قلعتها مقراً لهما.

وفي الأيام الأخيرة من رمضان ١٢٢٦هـ بلغت محمود باشا أنباء تفيد أن عبدالله باشا قد تحرك على رأس قوة إيرانية كبيرة للزحف على السليمانية، وأبلغ محمود باشا محمد آغا الكهية النبأ وطلب منه المساعدة، ولم يقم الموما إليه بإفراز قسم من قواته لإرساله إلى السليمانية بل توجه على رأس قوته الكلية نحو السليمانية مباشرة. وعندما وصلت هذه القوة موقع بازيان كان عبدالله باشا قد وصل على رأس القوة الإيرانية موقع خواجايى الواقع في سفوح جبال هورامان من أعمال گلعنبر.

ولما وصل نبأ نزول عبدالله باشا بوادي خواجايى انفصل كيخسرو بيگ رئيس الجاف عن محمود باشا والتحق بعبدالله باشا. وقد أدى التحاق عشائر الجاف الوفيرة العدد بالجهة المعادية إلى انهيار معنويات محمود باشا. وفي تلك الأثناء وصلت أنباء وصول القوات العراقية إلى قرية تپه رش الواقعة على مسافة ثلاث ساعات من السليمانية، فهدأ هذا النبأ خاطر محمود باشا إلى حدما. آنئذ كان محمد عيسى آغا ضيفا على محمود باشا وكان هو الذي يدل قواته في تحركاتها، فنقلت القوات العراقية الواصلة بقيادة الكهية محمد آغا بدلالة محمد عيسى آغا إلى قرية باريكه الواقعة على مسافة ساعة ونصف الساعة من السليمانية وأقرت هناك. وفي اليوم التالي توجه محمود باشا بصحبة الكهية محمد آغا إلى قرية باريكه للترحيب بالقوات العراقية التي وصلت إلى هناك. وتحادث الرجلان معا وتوصلا إلى أن موقع خواجايى الواقع في سفوح جبال هورامان، الذي عسكر فيه محمود باشا، ليس مكانا ملائما للتعرض له، وأن الأنسب هو اتخاذ موقع الدفاع وترك موقف الهجوم للعدو إلى أن يتحرك من موقعه الحالي إلى الأمام ويبتعد عنه.

وسير محمود باشا أيضا قواته إلى جهة محاذية لقوات محمد آغا الكهية واستقر بها على الجانب الشرقي من نهر تانجرو، وأخذ عبدالله باشا يفكر في أن قوة عراقية

جاءت لإمداد محمود باشا وأن قواته لاتعادل من حيث الكمية القوة المعادية وطلب المساعدة العاجلة من علي ميرزا، في حين أن منشأ تصوره هذا لم يكن إلا الخوف والوهم، إذ كان قد غرز جانبه بقوة إيرانية تبلغ خمسة آلاف شخص إضافة إلى قوته الخاصة التي كانت تبلغ خمس مئة شخص. وفضلا عن ذلك كانت قد انضمت إلى جانبه قوة عشائر الجاف البالغة عشرة آلاف خيال. وبالمقابل من أكثر من خمسة عشر ألف شخص الذين كانوا يؤلفون قوة عبدالله باشا، لم تكن القوة العراقية لتتعدى عشرة آلاف شخص بما فيها القوة الخاصة بمحمود باشا نفسه.

وتلبيةً لطلب عبدالله باشا خرج علي ميرزا بنفسه على رأس قوة مكونة من عشرين ألف شخص وتقدم من جانب سفوح الجبال واجتاز زهاو وتعداها إلى زنگاباد ودمر ونهب ما صادف في طريقه من قرى ومزارع. وعندما تبينت الحالة لداود باشا على هذا النحو كان هو على وشك الخروج إلى الجبهة بنفسه، فسير ابنه أحمد أيضا على رأس قوة. وعندما وصل الجبهة ترك أمر السليمانية جانبا وسار للوقوف بوجه الشاهزاده كما أمر محمد آغا الكهية باتخاذ الموقف نفسه، ولكن عندما وصل هذا الأمر كانت الأمور قد خرجت من أن يمكن السيطرة عليها وحلت نكبة كان تلافيها أمرا غير ممكن.

فعندما وصلت القوة العراقية قرية باريكه لم يستطع أفرادها أن يتمالكوا أنفسهم عن تناول الفواكه غير الناضجة ولاسيما العنب الذي كان مايزال فجا، إضافة إلى تناول الثلج والماء المثلج، فأصابتهم مأكولاتهم ومشروباتهم هذه بالمرض بشدة حتى إن أكثر من نصفهم وقعوا طريحي الفراش، فكان يموت منهم في اليوم الواحد أكثر من عشرين إلى ثلاثين شخصا. وعندما تبينت وخامة أحوال أفراد القوة على هذا النحو لعبدالله باشا لم يبق عنده محذور حتى يتجنب التعرض للعدو، وتوجه إلى جهة گورەقلا والتحق به علي ميرزا بقواته. وبالرغم من عدم رضاء محمود باشا توجه محمد آغا الكهية بقوته المضطربة لمواجهتهم وأقام مقر قواته على نهر بيستان سور. وبعد البقاء هناك أياماً عديدة نقل مقره إلى قرەگول ليكون أقرب إلى علي ميرزا وعبدالله باشا. ومع أنه صرف يومين في المفاوضات معهما من أجل الصلح إلا أنه لم يتم التوصل إلى اتفاق. وفي اليوم الثالث بدأ القتال.

ولكن تورط محمد آغا الكهية في القتال ضد العدو بقواته القليلة العدد بدرجات بالنسبة لقوات الخصم والمتدنية صحة، كان مغامرة مجنونة خارجة عن المنطق. ومع ذلك فإن البابانيين وإلى جانبهم العراقيون الضعفاء المرضى الضئيلو العدد بالقياس إلى

عدوهم أبلوا بلاءً حسنا وقاتلوا حتى حلول المساء بكل بسالة وشهامة وصمدوا بوجه العدو، حتى نفدت عندهم طاقة المقاومة وانسحبوا إلى كركوك ووقعت عُدَدهم الحربية غنائم في يد العدو. وبعد مكوث واستراحة للمنسحبين في كركوك لمدة ستة أيام، التحق محمد آغا الكهية مع أتباعه في الليلة السابعة بالشاهزاده علي ميرزا خوفا من تهديدات داود باشا التي كان يتوهمها بسبب هزيمته في المعركة.

وعندما أحرز الشاهزداه علي ميرزا النصر على هذا النحو سولت له أطماعه التوسع في غزواته وهاجم كركوك، إلا أن دفاع الكركوكيين البطولي المتواصل عن مدينتهم حال دون إحراز الشاهزاده أي نصر. واذ يئس من أمكان احتلال المدينة ولى وجهه شطر بغداد فنهب في طريقه قرى وقصبات داقوق وطوزخورماتو وكفري وقرەتپه حتى وصل دلي عباس. وهكذا أرعب اقتراب الشاهزاده من بغداد داود باشا أيما إرعاب فسدّ أبواب سور المدينة وأخذ يستعد داخلها للدفاع.

كان ما جرى يشكل درسا مهما حافلا بالعبر، فالمرء إنما يجني ثمار ما زرعه بنفسه ولا يأتيه محصود إلا من نوعه. كانت الحالة المرة المبتذلة التي يجد داود باشا نفسه فيها في تلكم الأيام تفهمه هذه الحقيقة.

أجل، كان داود باشا قد رأى من الضروري القضاء على محمود باشا إزاء الخدمات الكبيرة التي كان قد أداها له، لا لشيء، إلا لأن أوهامه جعلته يتصور أن من الممكن أن يقدم محمود باشا نفسه مثل تلك الخدمات التي قدمها باسمه هو إلى شخص آخر أيضا ضده وبقصد القضاء عليه، ورأَى أن إنجاز هذه الضرورة لايمكن إلا عن طريق استخدام آل محمود باشا نفسه ضده، ووجد أن الباشوات خالد وابنه محمد وعمه عبدالله صالحون لأداء هذه المهمة فحركهم وأثارهم ضد محمود باشا، رغم أن هؤلاء كانوا قد تمردوا عليه هو عند زحفه إلى بغداد وامتنعوا عن الاشتراك معه في ذلك وشقوا عليه عصا الطاعة، ولكن موقفهم آنذاك كان بدافع عدائهم لمحمود باشا ولم يكن له علاقة بشخصه هو، فكان قد رأى أنه إذا استمالهم إليه ضد محمود باشا خدموا تحقيق نواياه بكل جدية وإخلاص.

وبناءً على قناعته بأن بإمكان هؤلاء أن يخدموه كما يريد، فقد استمالهم إليه وجلبهم إلى بغداد وطمأنهم وبذل لهم الوعود بتحقيق ماتصبو إليه نفوسهم وتطمع فيه قلوبهم. وفي حين أنه في بداءة حركاته ضد محمود باشا كان قد أغرى حسن بيگ أخا محمود باشا خارج أماني هؤلاء وتوقعاتهم وأوقعه في شباك تسويلاته وعينه حاكما

على كويسنجق وحرير. ولأنه لم ينل النجاح والتوفيق في تحقيق نواياه ضد محمود باشا، ظل هؤلاء متذمرين منه، في حين أنه كان قد وضع بنفسه مفتاح الغلبة والنجاح في يد علي ميرزا من خلال رداءة أفكاره وسوء نواياه. ولو أنه لم يقطع الروابط التي كانت قد ربطته بمحمود باشا وصان خيوط الانتظام داخل الأسرة البابانية وحافظ على إخلاص هذه الكتلة مجتمعة لما استطاع الإيرانيون القيام بما قاموا به، وحتى لو أنهم قاموا بمثل ذلك لما نالوا أي شيء وما حصلوا على أى نتيجة. ولكن ما الفائدة إذا كانت حكومة السليمانية تشكل دائما شوكة حادة في عيون كل أولئك الذين تولوا الإيالة والوزارة في بغداد. ولئن كان بالإمكان حمل تصرف الوزراء الآخرين في هذا المضمار على محدودية تفكيرهم وضيق أفقهم ويبوسة أدمغتهم، فان ما كان يتمتع به داود باشا من فضائل العلم والمعرفة كان لايبدو للرائي مساعدا على ما كان يفعله وملائما لتلك الفضائل.

ومع أن داود باشا لم يكن يتمتع بنسب رفيع، فإن تربيته العلمية والخلقية كانت عالية. فكان عليه بهذا الاعتبار أن لايشبه أسلافه. ولئن كانت له حالات لاتشبه ما كان لهم، فقد كانت تلك بفضل مكتسباته العلمية التي ما كانت لتدعه قادرا على إلحاق المزيد من المضار والأذى بغيره.

ولكن داود باشا الذي داهمه اليأس إزاء الطوق الذي كان يجد فيه نفسه رغم مستواه الذي أوجدته له مزاياه العلمية، فتسبب في توليد المعاملات المعكوسة غير المتناسبة بوجهه، ساعدته تجليات السعد وهبّت لنجدته. فعندما كانت بغداد تعاني من وطأة الحصار مرض علي ميرزا فاضطر بسبب من مرضه إلى طلب الصلح شريطة تعيين عبدالله باشا لحكومة السليمانية ومحمد باشا بن خالد باشا لحكومة كويسنجق وحرير وتمت الموافقة على ذلك وعقدت المعاهدة وبعث داود باشا الخلعة لكلا الباشوين ووضع بذلك حداً للحرب والخصام.

وبعد التوصل إلى الصلح على أساس الشروط الآنفة الذكر عاد علي ميرزا إلى بلاده. وفي ربيع الأول من العام ١٢٣٧هـ لفظ أنفاسه الأخيرة في المرجانية من أعمال قزلرباط وأعيد جثمانه إلى إيران.

كان داود باشا ممتنا من خلاصه في هذه المرة أيضا بغض النظر عما إذا كان ثمنه غاليا أو رخيصا، ولكنه كان منفعلا بسبب من كسر خاطره. فقد كانت هذه الحالة لاتنسجم بحال مع تصوراته الفكرية وإجراءاته المنوية، ذلك لأن الغرض الذي كان

يتوخاه المشار إليه أن تتأسس فيما بين الدولتين العثمانية والإيرانية دولة عراقية تستطيع، إذا اقتضت الضرورة، أن تملك القوة والمقدرة على مخاصمة الطرفين، في حين أنه الآن يجد نفسه وقد هزمته مفرزة إيرانية، ولم يساعده إلا تجليات القدر التي أخذت بيده إلى بر الأمان وشاطئ السلامة، وفي هذه الحالة كانت نواياه الأساسية قد تزعزعت. وبناءً على ذلك فقد وضع نصب عينيه تكرار التوجه نحو الغاية المنشودة وبنائها على أسس متينة جديدة، وكانت الأسس المقنعة هذه عبارة عن بناء قوة عسكرية منظمة وصنع الآلات والأدوات الحربية وإدخالها حيز العمل. وعلى هذا فقد تركزت مساعيه كلها على تنظيم وتحضير هذه التشكيلات والمهمات.

كان داود باشا قد استعان في أثناء الحصار بالباب العالي وطلب منه إرسال المعونة إليه، وكان الباب العالي قد أرسل والي دياربكر والموصل لمعاونته بما لديهما من قوات عسكرية وكان الجميع قد وضعوا تحت قيادته، ولكن المشار إليه لم ير في تكرار المخاطر التي كان قد وضع لها حد أي جهة في صالحه مما يخدم آماله ومقاصده ولاسيما في مشكلة كان قد أخبر الباب العالي بأنه أنهاها بمهارته السياسية، فقد كان بعث هذه القضية من جديد يعني تكذيب وتزييف ما كان قد أشعر به الباب العالي، في حين أنه بسبب من خدماته ونجاحه في معالجة المشكلة الإيرانية بمثل تلك السهولة قد كرم من لدن مقام الحضرة الشاهانية بإهداء سيف وطاقم من الخلع الممتازة. وعلى ذلك فقد كان أبلغ الباب العالي بنجاحه الأخير هذا في صورة خدمة ثانية وكان قد أثبت بذلك قابليته الخارقة!

ومع ذلك فقد أراد الاستفادة من القوة المرسلة لمساعدته لترميم كرامته المهشمة في ديار كُردستان، وهكذا أرسل محمود باشا بصحبة الوالي بكر علي باشا إلى السليمانية. وتقدم محمود باشا بقسم من قواته وهاجم السليمانية بغتة، ولكن عبدالله باشا كان قد تلقى نبأ الجيش الزاحف فأحكم مواقعه في جبل سگرمه (سگرمه) ووقع محمود باشا في غفلة منه في كمين أعده له عبدالله باشا. وبعد ساعات من القتال اضطر محمود باشا إلى الانسحاب وطارده عبدالله باشا حتى قرهحسن. وفي الموقع المسمى ملاكان جرت مصادمة هزم فيها عبدالله باشا ففر إلى إيران، وتبوأ محمود باشا مقامه السابق في ١١ شعبان ١٢٣٧هـ. والحق أن عبدالله باشا لم يكن يمكنه أن يكون عديلا في السباق في ميادين الشجاعة والجسارة لمحمود باشا، ومن حيث الصلابة الدينية والبسالة الفطرية والنضج الخلقي كانت له مزية الأرجحية لاعلى عبدالله باشا

وحده بل على جميع مناوئيه. ولكن ما الفائدة في كل ذلك إذا كان السعد والنجاح يأبيان أن يكونا حليفين له ولايقدمان له أي عون؟ كانت المنافسة الأنانية بين أمراء بابان بلغت أوجها في عهده، وكانت حياة الاتحاد قد تخلخلت، وكان كل فرد منهم يسلك سبيل الحرص والطمع باسمه الشخصي. ومع هذه كلها، فإن حظه الذي أدار له ظهره كان يأبى أن يقدم له أي نوع من المساعدة، حتى إن نجاحاته المادية أيضا كانت تتعرض لتخريبات معنوية. وهكذا لم يكن قد استراح بعد من تعبه حتى بادر الإدبار لتشويك طريق إقباله كرة ثانية.

أجل، فما إن أخذ زمام الأمور في يده مجددا حتى بدأت الهيضة تريه الأحكام المعنوية فشلت إجراءات الطاعون الحكم المادي لمحمود باشا، وكانت تخريباتها وضائعاتها اليومية تتعدى المئات وتناهز الألف. لقد أصابت الخسائر عدد سكان كُردستان بنقص شديد، وتشردت البقية الباقية مخافة أن تصيبها العلة وتفرقت شذر مذر. وفي أواخر السنة نفسها أراد عبدالله باشا الاستفادة من سوء الأحوال الذي حل بكُردستان فجرد كل من عبدالله ميرزا حاكم زنجان من شهزادات إيران وفرهاد ميرزا حاكم سنندج وحسن ميرزا من كرمانشاه حملة مؤلفة من قوات عظيمة على محمود باشا. كانت قوات السليمانية قد نالها الوهن إلى درجة بالغة بسبب الطاعون وهدها المرض تماما، فلم تبق لها طاقة المجابهة بوجه كل هذه القوى الزاحفة، ولذلك فقد ترك محمود باشا موقعه وسار إلى كركوك وهناك اتصل بداود باشا ولكنه تلقى منه جوابا مخيبا للآمال، ولذلك لم ير علاجا لمشكلته إلا في التوجه نحو إستانبول، فقد كان داود باشا قد أصابه الهلع بسبب الجولة السابقة في الحرب مع إيران، وفضلا عن ذلك فقد كان نجاحه في دفع الخطر الإيراني قد قدر عاليا ونال عنه خلعا عديدة، ولذلك فقد أوكل حكومة السليمانية إلى عبدالله باشا كما أوكل حكومة زهاو إلى سليمان باشا وأرسل الفرمان والخلعة باسم كل منهما، وبذلك لم يسمح للمشكلة بأن لاتتكرر من جديد وأعاد الإيرانيين من حيث أتوا بطيب خاطرهم بعد أن قدم لهم الهدايا النقدية والعينية.

ولكن من المؤكد أن ما دفع الإيرانيين للهرب من حيث أتوا كانت الخسائر التي تلحقهم بسبب الطاعون والخوف الذي أصابهم منه أكثر مما كان بفعل الهدايا التي قدمها لهم داود باشا. في ربيع الأول ١٢٣٨هـ بدأ محمود باشا، سفره قاصدا إستانبول ووصل دياربكر، فعبر له واليها علي باشا بدافع من صداقة حميمة سابقة كانت تربطه

وإياه، عن عدم استحسانه أن يواصل سفره هذا، لأن رجال إستانبول ورؤساءها كانوا بعيدين إلى حد كبير عن المثل الوطنية والاجتماعية.

أجل، لم يكن أي واحد من هؤلاء باعتباره شخصية، أكثر من مهرج أو ساحر يركض وراء منابع المنافع الخسيسة. فبرغم أن البحث عن الحق والحقيقة يؤثر سلبيا في مصالحهم المنشودة، كانوا يعتبرون اقترابهم من أمثال تلك المعاملات مضرا ومخالفا لغاياتهم الأصلية. كان ترويج أي معاملة حقة أو باطلة يتوقف على دفع مبلغ مهم. والحق أنه، وإن كان كل واحد من هؤلاء يصفى بسيف عدالة السلطان العادل محمود، إلا أن الفساد الذي كان قد استشرى وطرأ على الأخلاق العامة كان قد جعل مثل هذه التصفيات غير ذات جدوى ولم يكن ينجم عنها أي نتيجة تجعل المعنيين يتنبهون إليها عدا ترحم الأخلاف على الأسلاف. فماذا كان بوسع مركز السلطنة إزاء هذا التهالك على الأطماع والنهب والسلب والاستحواذ على أكبر قدر يمكن لكل منتفع أن يستحوذ عليه، أن يفعله بحق داود باشا، وماذا كان يحتمل فعله؟ في حين أن قصاصة ورق مرسلة من هذا كانت تكفي لقطع رقبة محمود باشا ووضع رأسه في مشهد عام للتشهير بصاحبه. وعندما علم محمود باشا كيف ترمى العادلة ظهرياً على هذا النحو من جانب مركز السلطنة، عاد من حيث أتى وبلغ كويسنجق، ومن هناك بعث أخاه عثمان بيگ إلى نائب السلطنة في تبريز ينشده المساعدة والعون.

أرسل عباس ميرزا قوة مناسبة لمساندة محمود باشا بقيادة إبراهيم خان حاكم ديار مكري. تلاقت هذه القوة في جمادى الأولى من العام ١٢٣٨هـ في كويسنجق مع محمود باشا وقواته وهاجم الجانبان معا السليمانية واضطر عبدالله باشا للخروج منها وأخذ محمود باشا زمام الأمور في المدينة من جديد وأرسل أخاه عثمان بيگ ليتولى الأمر في كويسنجق وحرير، وتوجه عبدالله باشا إلى تبريز بأمل الالتقاء بعباس ميرزا. ولأن علاقته بعباس ميرزا في هذه الفترة التي كان خلالها هاربا من وجه قواته، سيئة، فقد ترك أهله وأتباعه في بيتوش وسردشت وسار بنفسه للقائه، فأبقاه عباس ميرزا عنده في تبريز وأمَّن له وسائل العيش حذرا من وقوع محمود باشا الذي كان قد استعاد السيطرة على منطقة السليمانية في الشكوك والأوهام بسبب التجاء عبدالله باشا إليه.

حرض داود باشا محمد باشا الرواندوزي ضد محمود باشا وأرسل إليه القوة الضرورية حسب مقتضيات الوضع، فهاجم محمد باشا على حين غرة مناطق كويسنجق وحرير وتعداها حيث وصل بقواته إلى قەمچوغه. كان محمود باشا في حالة يائسة

بسبب ما أدى إليه اختلاف أمراء البابان وتفرق كلمتهم فيما بينهم من جهة، والدمار الذي الحقه مرض الهيضة بالناس في منطقة حكومته من جهة أخرى، ولذلك وجد نفسه مضطرا للاستعانة بعباس ميرزا من جديد، فجاءته نجدة من قوات أردلان في إيران واضطر محمد باشا إلى العودة رأسا على عقب.

كان العديد من التقارير قد رفع إلى الباب العالي من جانب داود باشا حول الاعتداءات الإيرانية من جهة، كما كان العديد من الشكاوى والاحتجاجات حول مظالم داود باشا بحق الزوار والتبعة الإيرانيين قد رفع أيضا من جانب عباس ميرزا، من جهة أخرى. وبغية دراسة هذه الأمور والتحقيق فيها أرسل الباب العالي كاتب الضبط السابق أسعد أفندي الصغير إلى بغداد. وقد وصل المومأ إليه واستدعى محمود باشا للحضور والإدلاء بإفادته أمامه، إلا أن المشار إليه لم يجرؤ على تلبية الدعوة حذرا من نوايا داود باشا الشريرة واستأذن عباس ميرزا بشأن قول مايريد قوله بهذا الشأن.

قدم أسعد أفندي تقريره بعد تحقيقات مطولة. ومع أنه لم يقدم في تقريره الإيضاحات الحقيقية حول مظالم داود باشا واستبداده ونواياه المحسوسة كما هو جدير بالموضوع، وبعبارة أصح حاول حماية نفسه من حماة داود باشا المتسلطين على الأمور في الحكومة المركزية ولم يُبدِ الجسارة والشجاعة اللازمتين في ما كتب، إلا أنه لم يظهره أيضا في مظهر الرجل المعصوم ولم يصوره بما يجعله بمنجى من المؤآخذات الواضحة المؤولة.

أجل، ان حراجة الأوضاع في بغداد والفوضى الإدارية الكامنة تحتها وسياسة شراء الذمم التي كانت تتبع في التعامل مع البابانيين والتأثيرات المضرة لهذه السياسة على كُردستان في دفع الأمراء البابانيين للالتجاء إلى الإيرانيين والانتماء إليهم والاحتماء بهم، كل هذه الأمور التي كانت تعود في أساسها إلى سوء سلوك وزراء بغداد، قد بينت في تقرير أسعد أفندي بدرجات مختلفة.

ومع ذلك فإن سياسات داود باشا لم تكن منحصرة في تلك. فقد كان المشار إليه تورط في أفكار الانفصال عن وطنه كما سبق أن ذكرنا ذلك من قبل، وكان منشغلا بتهيئة مستلزمات تحقيق هذه الأفكار ووضعها موضع التنفيذ. فقد كان منشغلا بحماس في توفير المعلمين والكوادر العسكريين وتشغيلهم. كان قد جلب المتخصصين وعكف على صناعة المدافع والأسلحة وسائر اللوازم. ومع ذلك فقد كان أهمل دفع استحقاقات المركز ولايهتم بأوامر الحكومة المركزية ونواهيها. وبمسلكه هذا كان قد

زعزع أسس الارتباط بين التابع والمتبوع، وكانت ضرورة الانقياد قد أصابته بالذهول. ما كان أسعد أفندي ليجهل هذه الأمور، ولكنه كان يعلم أنه لو دونها وتحدث عنها لكان قد أصاب نفسه ببلاء عظيم. وبناء على ذلك فإنه لم يكن ليتجاسر على تدوين بيان الوضع كما هو فعلا، وذلك خوفا من حماته المتسلطين على الأمور.

وعلى العكس مما كان يجب من تنفيذ الموجز التأريخي الذي كان قد دونه أسعد أفندي، فانه قد أسقط من التأثير بتزييفه والغائه ورميه في سلة المهملات، في حين أن أي حكومة ترجح وطنيتها على مصالحها كان عليها أن يتيقظ مسؤولوها بهذا الموجز المدون ويبادروا إلى الاستعجال في إجراء مايلزم وتغيير مايجب تغييره من المسلك.

وخلاصة القول أن المتاعب الجمة التي ذاقها المسكين أسعد أفندي في رحلته قوبلت بشتى المعاتبات وحظيت الخدمات التي قدمها بردود فعل مضادة. وإزاء جميع الأحكام الذاتية لمأموري الإيالة، غدَا الأعْلَوْن منهم في الحكومة المركزية بمثابة موظفين أتباع ملحقين بهم من جراء كونهم باتوا تحت تأثير تغلبهم الاستبدادي، فكانوا يرون أنفسهم مضطرين لتنفيذ مآربهم على مختلف أنواعها، ولايبالون بمطالبهم المستبدة، وبسبب من سيئاتهم السياسية كانوا يعلنون الحرب دونما أدنى تردد على أي دولة تتخذ موقفا معاديا من أولئك المأمورين من دون أن يتحروا عن أسباب اتخاذ تلك المواقف المعادية.

إلى أين كان يرجع السر في هذا الاستسلام والتواضع المتخاذل من هؤلاء لأولئك الذين لم يكن هناك مايؤلف بينهم وإياهم؟ ما من شك في إنه لم يكن هناك مبرر وحكمة كامنة عدا المنافع الشخصية الخسيسة التي كانت تربط بعضهم ببعض.

أجل، إنه لأمر جدير بالتفكر والامعان فيه أن دولة قوية مقتدرة تستطيع الدخول في حرب ضد دول أخرى قوية الشكيمة تغمض عينيها إزاء المظالم القومية والخطيئات السياسية التي يرتكبها مسؤولو إيالة من إيالاتها فتلتزم دونما تحرٍ عن الأسباب الحقيقية للمشاكل الخارجية التي يتسبب فيها أولئك المسؤولون بخوض حرب ضد دولة أخرى رأسا ودونما تروٍ.

لنقل جدلا إن الشرف الوطني والعزة الاجتماعية تضطرها إلى مثل هذه المعاداة، ولكن لماذا يجب عدم اتخاذ المواقف الضرورية إزاء مسؤولي الإيالات الذين يتسببون في إيجاد هذه المشاكل والخلافات السياسية المفتعلة؟ ولكن كيف يمكن اتخاذ مثل هذا الموقف إذا كانت المآرب القلبية الناشئة من إشباع جوع نفسي كالحرص والطمع لاتتيح الفرصة لذلك!

وهكذا كانت المشاكل السياسية التي يتسبب فيها الاستكبار والاستبداد الإداري لأناس من طراز داود باشا تزيد طينها بلة، الأزمات السياسية التي كانت الحكومة المركزية تعاني منها وتضيف إلى أغوارها أعماقا مضاعفة.

إن أبخرة الشؤم التي أصعدتها خطيئاتنا التي نشأت بذورها في حياتنا الإدارية، أطبقت على آفاق سياستنا، وإن ظلام اليأس والقنوط قد أغلق قلوب أرباب الإدراك والحمية.

وهكذا، فإن هذه الأمة الإسلامية النجيبة وهذه الكتلة العثمانية القهارة اللتين هزتا بالحركات الفعلية الظافرة لعزمهما على فتح الكون ومكوناته، كانتا قد غدتا منذ أمد بعيد مرشحتين للمذلة وتجلت معالم مسكنتهما الراهنة.

فوا أسفا لأن الأمة لم تكن آنئذ في مستوى تدرك به يوم النحوسة الذي أطلقه عدم تبصر أولياء الأمور على حياتنا الوطنية وكرامتنا الاجتماعية في الحاضر وفي المستقبل. وإذا لم يكن هناك مثل هذا المستوى لم يظهر مرشد طريق ودليل خلاص يبرهن على وجودنا في ساحة الفعالية والنشاط ليرينا طريق الاستقامة الحقيقية التي توصلنا إلى السلامة فيحول دون أن تقع في حفرة الانحطاط والمهانة التي نقترب منها اليوم خطوة فخطوة.

لقد لفتت فوضى المركز هذه وانعدام المستوى الإدراكي لدى الأمة نظر مطامع الدول المجاورة، فكانت جميعا ومن كل جهة تسير إزاءنا على سياسة ابتزازية مبنية على التعللات والتحججات. وكانت الحكومة السنية أبعد ما يكون عن القدرة على ضمان أوضاعنا ومصالحنا إزاء هذا الاضطراب والتشتت الذين ظهرا على حياتنا الوطنية والاجتماعية في حين أن المشاكل الإدارية في الداخل والتشوش السياسي من الخارج قد هزت جميع أطراف الساحة الوطنية وأصيبت الحكومة والشعب معا بعواصف إدارية وسياسية فلم يعودا يملكان إمكان تحديد الهدف وإيجاد استقامة حقيقية يسار عليها. كانت سيول هذه العواصف الاجتماعية الخطرة تقتطع في هباتها وتحز أطراف الوطن وحواشيه ولم تكن بمنأى من تورط الأجنبي فيها أيضا. وفي أثناء هذه الفوضى الإدارية المشحونة بالعواصف الخطرة كان الحفاظ على ملكية الديار العراقية المجاورة لإيران تستند إلى أن البابانيين لم يكونوا، بسبب من عصبيتهم الدينية، ليسلموا مقاليد تبعيتهم، إلى دولة أجنبية ولا يقفون إلى جانب إهانة الوطن وخيانة الأمة باسم حكومة خارجية.

أجل، فبالرغم مما تعرض له البابانيون من مظالم واعتداءات متوالية مستمرة، لو لم تكن هناك صلابتهم الدينية وإخلاصهم وحبهم العميق للوطن، لكان ولاة العراق قد أضاعوا منذ زمن بعيد ديار العراق وجعلوها بسبب من تحجر عقولهم ضحية على مذبح منافساتهم الناشئة من مطامعهم فيما بينهم.ومع أن التأريخ يخطّئ البابانيين ويحاسبهم على المنازعات الحدودية التي وقعت بين الدولة العلية وإيران، فإننا إذا نظرنا إلى الجهة الأساسية لانحياز المؤرخين رأينا أن كونهم خدما مكرسين لخدمة الزمان والمكان قد حال دون أن يضعوا الوقائع في معرض تدوين أقلامهم كما كانت في واقع الأمر.

ومع ذلك فإن النظرة الفاحصة في تعقيب الوقائع تستطيع أن تستدل على حقائق ماوقع من المسوّدات المدونة.

ولئن كان هناك تقصير كبير اقترفه البابانيون، فهو المنافسات الأنانية والصراعات الناشئة من المطامع فيما بينهم. والواقع أنه متى داهمت بلوى الانقراض أمة من الأمم أو شعبا من الشعوب كان ذلك نتيجة مشؤومة للحالة نفسها التي تعرض لها البابانيون. إن الذين يعكفون على الدراسات التأريخية يعرفون جيدا أن جميع الحكومات السابقة والأمم الغابرة التي تعرضت حياتها الاجتماعية للانقراض سارت نحو هاوية الفناء ومنحدر الهلاك عندما وقعت المنافسات الناشئة عن الأطماع بين ذوي القربى من أبنائها بالرغم من كونهم من قومية واحدة ويعودون إلى أرومة واحدة.

ما من شك في أنه إذا ظهرت الأخلاق الرديئة الناشئة من دوافع التنافس بين أبناء أي قومية وأي كتلة اجتماعية ووجدت فيها مجال النمو، غدت تلك القومية أو تلك الكتلة محكومة بالزوال قطعا.

أجل، إن التعساء الذين لايدركون هذه الحقائق الفلسفية ويتغافلون عن المنابع الحقيقية لهذه المنافع الأساسية، يسممون مصالحهم الحيوية والأبدية العليا ويجعلون من شرف نسبهم المترادف لمصالحهم القومية ومكانتهم المحترمة ضحية للمصالح التي يسولها لهم شيطان الوهم والخيال ويذهبون فداءً لتلك المصالح وينتهي أمرهم. وعندما يدركون مدى فداحة الأخطاء التي اقترفوها، سيواجهون ما يستحقون من جراء الغفلة التي كانوا قد أصيبوا بها.

لا يصح للمرء أن يعتمد على ما توفره له ظروف الحال والزمن التي يعيش فيها، كما لايجوز له أن يستجيب لمغريات نعيم آني يتعارض مع أوضاعه المستقبلية. عليه

أن يتّعظ بماجريات التأريخ وخصوصيات حياته الشخصية وحياة آبائه وأجداده. ومن لم ينل قسطا من التيقظ والانتباه من تلك الدروس الحياتية التي تعلمه إياها أحداث التأريخ وجد نفسه في ميدان الوقائع وجها لوجه على الدوام مع ما يضمره له القدر من تحديات ولم يسلم من تقلبات الزمان كما يجد في حياته الاطمئنان والأمان الضروريين ولم يحظ بشيء من هدوء الخاطر وراحة البال: والواقع أن الاختلاف في الرأي وتعارض الاجتهادات في طريق الحياة حالة فطرية بالنسبة للإنسان، إلا أن وجود هذا الاختلاف والتعارض هو في الوقت نفسه إرشاد عقلي بالنسبة إليه أيضا. وفي مجال اختبار هذا الاختلاف الفكري والتعارض الاجتهادي بيننا، يكون الاستفادة من الجيد والاحتراز من الرديء درسا انتباهيا يجب علينا أن نتعلمه.

مما هو بدهي أن الدهر مربي الانسان، ودروس الاعتبار والانتباه إلى غوامض الحياة التي يلقيها هذا المربي على الإنسان تخدمه في اكتشاف ماتنطوي عليه من أسرار. والذين يسلكون المسار الذي تحدده لهم مجريات الأحداث يوفقون في حسن استعمالهم حق الحياة فيوصلهم إلى طريق الآمال الرحب.

ولكن هيهات! فالإنسان أسير طموحاته وآماله. ومن هنا فانه يحيد عن جادة منافعه المستقيمة وينحرف إلى الأطراف الملتوية ويظل يركض على الدوام وراء سراب خيالاته. وفي ركضه هذا لايوفق إلى ان ينظر نظرة متأملة فاحصة، رغم ما يعترضه من عوارض وإغراءات غير قليلة.

فقبل كل شيء يجرد الطمع الإنسان تجريدا تاما من جميع المزايا. والأخلاق الفاضلة، بل إنه يسد بوجهه طريق الإحساس بالاحترام تجاه نفسه وأخيه ومواطنيه وأبناء أمته ويحصر جميع قواه الفكرية بحثا عن الأخيلة العقيمة في الاهانات القومية والنوعية في حين أن مايميز الإنسان هو العقل، وبدلالة العقل يجب أن يتوصل المرء إلى تحديد سبيل الخطأ والصواب، وليكن معلوما أن المضار التي تنشأ عن الأمال العقيمة إنما تتولد من سيئات الانسان ولاسيما أن الآمال لاتحدها حدود.

كلما تعالى السعد والإقبال تعالى الإحساس بالعلو أكثر فأكثر. وما من شك في أنه لو لم تكن للحياة ديمومة لما أدركنا ما للحياة من انتظام اجتماعي محدود وهذه المعاشرة الجزئية والمؤآنسة النفسية مع ماهو مفعم به من محن ومنغصات، ذلك لأن استمرارية الحياة مما يتسبب في اشتداد تطاول الآمال وتعارض الأفكار، فتدفع الأطماع بكل فرد إلى النزاع والخصام.

من المعلوم أن مطمح النظر الإنساني يتجه إلى الرقي والتعالي. فإذا تعارضت المصلحة الاجتماعية مع المنفعة الذاتية، كان اهمال الحقوق الاجتماعية المشتركة والتأثير المبتذل للخصوصية الشخصية أمرين واضحين. وهذه الصفة المتعلقة بالإحساس الفردي تلحق الأذى بالحياة الإنسانية الاجتماعية انطلاقا من الحاقها الأذى بالوحدة الاجتماعية القومية، في حين أن الكتل الإنسانية المجتمعة تحت عنوان الشعب أو الأمة نجد أفرادها وكل واحد منهم يبحث عن فرصة لنفسه للتغلب على غيره لأنه لايرضى بما قسم له وهو يرغب دوما في التفوق ويأبى أن تكون حقوق الجميع متساوية. فلو أن هذا الحرص الروحي لم يورط الإنسان في آمال التفوق الشخصي، ولو اقتنع كل فرد بتساوي المنافع وتوازن الحقوق وتقابل المطامع بينه وبين غيره لما وقعت التقلبات في أوضاع الكون أو في الحقوق الاجتماعية، ولما أتيحت الفرصة لإلحاق الضرر ببني البشر، بل على العكس لأقام العالم الإنساني كتلة متراصة ذات كيان واحد في إطار أخوة متقابلة أساسية بإقامة روابط المودة بينها وتوحيد المساعي للتعايش معا. ولكن هيهات! إن الحالة الفضولية التي تنميها المطامع لاتسمح بوضع كهذا، وإنما يقوم كل فرد أو كل هيئة اجتماعية أو كل شعب بإيجاد الأرضية المادية اللازمة لمختلف أنواع الموبقات في سبيل الآمال الموهومة في منافعه الخاصة وللقضاء على بني نوعه في الطرف المقابل. وتبدأ هذه الأعمال التدبيرية من الاختلاف ومن ثم تتطور إلى الخصومات الغريبة وتنقلب هذه بدورها إلى حروب فجيعة بضراوة السباع مما لاينسجم بأي حال مع المزايا الانسانية، ويخلق حالة صراع في الحياة الروحية للأطراف المختلفة. وفي هذه الحالة تخرج ميزة العقل من كونها سمة إنسانية وتتخذ شكل مناوشات افتراسية لمجاميع من السباع الضارية التي لها أشكال إنسانية. إن هذا التفوق الوحشي الذي يحرزه هؤلاء في فجائعهم الدامية هذه، يعتبرونها مفخرة ومدعاة اعتزاز لهم. إنهم يمرون على أجساد القتلى من بني نوعهم الذين خروا صرعى في حروبهم العدوانية من دون أن يتأثروا بذلك قليلا أو كثيرا. وكلما وقعت أعينهم على دماء إخوتهم المراقة زادهم ذلك غرور رعونة، وهم يطلقون على فضائحهم الدموية هذه اسم المدنية والحضارة!

أفهذه هي فضيلة البشرية؟

وأهذه هي سمو المدنية؟

ولكن علامَ يحدث كل هذه، وأي نتيجة ستنتج هذه باعتبار الماهية والحيثية؟

كل هذه الأسئلة على الخواطر أبدا.

لنفكر، حقا، من أجل ماذا يمكن أن توجد هذه الحالة الوحشية، رغم أن الحياة العارية ليست أكثر من أيام، وتنتهي؟

لم هذه العقلية الخلقية التي هي في تباين تام مع إدراكاتنا العقلية التي هي خاصية معنوية لشرفنا الفطري؟

إنها تعني أن هذه حالة معنوية، ولأن هذه حكمة معنوية فإن الملاحظات الفكرية غير قادرة على حلها وحسمها.

وبناءً على ذلك فإن تضادات الحياة الكونية قد أرتنا ضرورة وجود هذه التضادات الإدراكية وهذه المطامع الذاتية حتى ترينا تأثيرها على الحياة الإنسانية، ذلك لأن أي فرد أو أي قوم أو أي هيئة اجتماعية يجب أن تمر بمرتفعات ومنحدرات في الحياة هي من مقتضيات الكون ويراها بعينه، أي إنه محكوم بهذه الحالة. وليست هذه المحكومية خاصة بأحوال البشر وحدهم، بل إن هذه الحالة الانقلابية موجودة في المكونات العامة للكائنات كلها.

لكل شيء غاية، وغاية هذه المقدمة هي الحالة المضادة. والحياة السعيدة للأسرة البابانيةكانت قد بلغت هذه الغاية، والغاية كانت قد بلغت حد مقدمة المضادات. ولكن كانت هناك حاجة لسبب وعامل لهذا الأمر، ولم يكن هذا العامل أحدا سوى خالد باشا وتوابعه.

بعد أن استعاد محمود باشا السيطرة على الحكم في السليمانية وجد أن المناطق التابعة لها في حالة من الاضطراب يرثى لها. فقد كانت البلاد خرجت لتوها من أيادي عدوين لايرحمان عبثت بها تدميرا وتخريبا. عدوين أحدهما معنوي والآخر مادي. أما العدو المعنوي فقد كان مرض الهيضة الذي سار بالتخريب أشواطا إلى الأمام بأحكامه المعنوية، من جهة. وأما العدو المادي فقد كان عبدالله باشا الذي كان قد فتت السليمانية ومحلقاتها من جهة أخرى ودمرها عن آخرها بمساعدة القوات الإيرانية. ولذلك فقد كان النظر إلى حال الأهلين واطراد معيشتهم وضمان حياتهم التي كانت على حافة الرمق الأخير الوظيفة الأساسية، ولكنها الصعبة، لمحمود باشا.

وعندما وفق محمود باشا في استرداد مقام حكومته غلبت الأوهام سليمان باشا ابن ابراهيم باشا حاكم زهاو، ففر إلى كرمانشاه. وهناك حبسه الشاهزاده حسين ميرزا. وقد مرض في سجنه، وفي أوائل صفر من العام ١٢٣٩هـ توفي. وقد أعيد جثمانه إلى السليمانية بجهود محمود باشا ودفن في جامعها الكبير. وفي السنة نفسها أيضا

توفي خالد باشا، إلا أن كيفية وفاته لم تعرف، كما لم يعرف أين ووري جثمانه الثرى.

أدت عودة محمود باشا إلى السليمانية وتوليه زمام الأمور فيها إلى اضطراب كبير في نفس داود باشا. وعلى ذلك فقد أخذ يهيئ مقومات الزحف عليه، فأرسل محمد باشا ابن خالد باشا على رأس قوة مهمة، في حين أن محمود باشا لم يكن بسبب من اضطراب أحوال المملكة قادرا على الدفاع. ولذلك فقد ترك السليمانية وتوجه نحو قزلجه ومن هناك أرسل أخاه عثمان بيگ إلى سنندج للمراجعة مطالبا بمساندة إيرانية. ولكن لايؤدي انسحابه هذا إلى إلقاء اليأس في نفوس السكان ومن أجل أن لايفرط بإخلاصهم، عاد إلى جبل أزمر الواقع على مسافة ٦-٧ كيلومترات في شمالي شرقي السليمانية حيث ظل منتظرا وصول القوة المساندة من إيران ويدافع ضد تعرضات القوات العراقية التي كانت بإمرة محمد باشا. وبعد مدة وجيزة وصلت القوة الإيرانية بصحبة عثمان بيگ. وعندما سمع محمد باشا نبأ وصول القوة الإيرانية قدر أنه لايتمكن من المقاومة والصمود بوجهها فانسحب إلى كركوك، واستعاد محمود باشا مجددا في الثاني من شوال ١٢٤١هـ زمام الأمور في السليمانية. وأثار انسحاب محمد باشا على هذا النحو دونما مقاومة إلى كركوك داود باشا إلى حد كبير. ومع ذلك فإنه حافظ على هدوئه الظاهري ولم يبد أثرا لانفعاله، لكيلا يؤدي ذلك إلى هروب محمد باشا والتحاقه بإيران، وخصص مقاطعة دزەيى لتأمين أمور معيشته.

وفي العام ١٢٤٢هـ بلغ ضيق فارس آغا رئيس عشيرة دزەيى بتصرفات محمد باشا ذروته، فسار إلى داود باشا وشكا محمد باشا لديه. واستنادا إلى هذه الشكوى صدرت الأوامر من داود باشا بالسماح لفارس آغا بطرد محمد باشا من تلك المنطقة. فهاجم فارس آغا على رأس قوة قوامها ٥٠٠ خيال محمد باشا ووقعت خسائر كبيرة من كلا الجانبين في المعارك التي وقعت بينهما، وكان من بين القتلى سعيد بيگ بن محمد باشا، وكانت النتيجة أن هزم محمد باشا وفر إلى إيران. ولكن الحكومة الإيرانية لم تعره اهتماما، فعاد إلى بغداد ملتجئا إلى ألطاف داود باشا.

وبتأريخ ١٢٤٣هـ تجاوزت تحركات محمد باشا الرواندوزي العدوانية حدود صبر محمود باشا. ومع أن القوة البابانية كانت قد أصابها التمزق وفقد قسم منها قوته القتالية بسبب المصائب المتتالية، إلا أن أعمال محمد باشا الدالة على اغتراره بنفسه اضطرت محمود باشا لسلوك سبيل المخاصمة وإياه، فهاجم بما استطاع جمعه من قوة حرير ورواندوز ولكنه لم يحرز أي نجاح لأن الطرف المقابل كان قد تحصن في مواقع

إستراتيجية مهمة، ولذلك اضطر محمود باشا إلى التراجع. وقد أثر هذا التراجع تأثيرا بالغا في نفسه، لأن الهزيمة أمام محمد باشا لم يكن مما يعد أمرا يمكن تحمله بالنسبة إليه. أليس ذلك أمرا طبيعيا؟ ألم يكن مما يثير الشجن في نفس محمود باشا أن ينهزم في وقفته بوجه محمد باشا الرواندوزي، وهو الذي استطاع باسم سميه راوندوزي أن يدحر جميع القوات العراقية في صراعه ضد سعيد باشا، وأن يجلس داود أفندي على كرسي الوزارة لإيالات شهرزور وبغداد والبصرة؟ لقد دفعت هذه الهزيمة محمود باشا إلى القيام بحركة أخرى ضد محمد باشا، فجمع قواته مرة أخرى بصورة اهتم بها كثيرا. وفي العام ١٢٤٤هـ خرج لمواجهة قوات محمد باشا التي كانت قد تقدمت حتى بلغت سورداش. وبنجاحاته المتتالية في هذا الهجوم، ضيق الخناق على قوات محمد باشا في قلعة سكتان ودمر القلعة بالمدافع، فما عاد محمد باشا يستطيع المقاومة في تلك الديار، وولى مهزوما مع جيشه إلى رواندوز.

وفي هذه الأثناء أخذ سليمان بيگ أخو محمود باشا، في غفلة منه، ثلثي قواته معه وسار ليلا من سكتان إلى السليمانية، وعندما وصلها استولى على مقاليد الأمور فيها. وعندما اطلع محمود باشا على ماجرى من خيانة أخيه سليمان بيگ له، رأى أنه لايستطيع التفوق على أخيه بما بقي معه من قوات، فتوجه إلى قزلجه لطلب المعاونة من إيران. وبعد أن اتصل بوالي سنندج جاءته قوة كافية للمعاونة. ولما وصلت أنباء وصول هذه القوة إلى السليمانية انسحب سليمان بيگ منها وتحصن في جبل گلەزرده. وتفادياً لإراقة دماء أبناء قومه بأيدي الأجانب لم يشأ أن يلاحق أخاه ويتعقبه.

ولكن هيهات هيهات! فقد كانت أيام سعد محمود باشا قد ولت الأدبار، والمصائب الدنيوية لم تدع له مجالا ليخلد إلى الهدوء والسكينة وإن كان قد تحرر من مناوئيه الآخرين. إلا أن أخاه هو الذي تورط في هذه المرة في الأطماع ضده وتركز نظره على مجده وسعده لينتزعه منه. لقد استغل سليمان بيگ استغلالا سيئا حسن النية التي أبداها محمود باشا الذي لم يكن يريد أن يسوق أبناء شعبه وأمته إلى الموت على أيدي الأجانب، فاستفاد من سكوت محمود باشا من تمركزه هو على جبل گلەزرده من دون أن يرسل جيشا عليه أو يحاول مطاردته وملاحقته، فأخذ يحرض البقية الباقية من عساكر محمود باشا عليه حتى تركوه ذات ليلة بعد طائفة من الوقائع التافهة والتحقوا بسليمان بيگ. وإذ علم محمود باشا أنه لم يعد هناك إمكان لبقائه في السليمانية، لجأ إلى إيران حيث أرفق هناك بقوة عاد على رأسها للتصدي لسليمان بيگ فاضطر

الأخير للهروب إلى زهاو ومن هناك اتصل بداود باشا الذي كان يتمنى سنوح فرصة له من هذا القبيل ويرغب في الاستفادة من أي وسيلة كان للهجوم على محمود باشا، وما كان ليتخلف أبدا عن إسناد أي كان يرفع راية مناوءته.

وهكذا، فإنه بناء على اتصال سليمان بيگ بداود باشا أنعم عليه بعنوان الباشوية وهو في زهاو وأسنده بقوة عسكرية حسب ماتقتضيه الحاجة. ولما علم محمود باشا بما جرى،خرج للتصدي لهذه القوة والتقت القوتان وجها لوجه في موقع قرهگول واستمرت الصدامات بينهما أياما وأسابيع وبلغت خسائر الطرفين قدرا كبيرا وتوسط السادة وعلماء الدين في المنطقة بين الجانبين، ولكن سليمان باشا الذي كان حريصا على أن لايفرط بثقة داود باشا لم يجنح للصلح والائتلاف. ومع أن الصراع الإجرامي ً استمر مدة أخرى، إلا أن الهزيمة كانت في خاتمة المطاف لمحمود باشا الذي انسحب بعد هزيمته إلى گلعنبر، ولكن سليمان باشا أخذ يلاحقه ويطارده كي يجعل نفسه جديرا بلقب الباشا الذي أهداه إياه داود باشا، فسار بقواته حتى قصبة گلعنبر التي فرض الطوق عليها وحاصرها، فتركها محمود باشا متوجها إلى كرمانشاه حيث ترك عائلته وذهب بنفسه إلى بانه ليعود من هناك إلى السليمانية لمقاتلة سليمان باشا.

وفي شهر رمضان من العام ١٢٤٥هـ جمع محمود باشا عشائر بانه وسردشت وپشدر وآكوى وهاجم بها سليمان باشا على تلال گردهگروى الواقعة على مسافة كيلومترين شمالي السليمانية اتخذ مواقعه مقابل عساكر سليمان باشا. ولأن هذه العساكر كانت مدربة ومنظمة وتملك المدافع المتعددة، فإن قوة محمود باشا، رغم ما أبدته في ساحة الوغى من ثبات ومتانة وفداء، خسرت المعركة وكان النصر إلى جانب سليمان باشا، غير أن هذا النصر كلفه الكثير الكثير، فقد قدم خسائر بالغة، وكان ضمن هذه الخسائر مصرع عبدالله بيگ بن كيخسرو بيگ رئيس عشائر الجاف ومصطفى بيگ بن يونس بيگ من أمرائها. وهكذا خسر محمود باشا المعركة في هذه المرة أيضا وعاد مجددا إلى إيران وطلب العون بوساطة والي سنندج من ولي العهد الإيراني عباس ميرزا الذي أرسل قوة كبيرة لمساعدته بقيادة ابنه قهرمان ميرزا.

وبتاريخ السنة ١٢٤٦هـ هاجم محمود باشا مجددا على رأس هذه القوة الإيرانية، سليمان باشا. وما إن علم سليمان باشا بالأمر حتى ترك موقعه وانسحب إلى جهة زنگاباد، فدخل محمود باشا السليمانية من دون قتال وأخذ زمام الأمور في يديه كما في السابق وأعاد القوة الإيرانية إلى حيث كانت من قبل.

ولكن ما الفائدة إذا كان طالعه قد تخلى عنه واستاء منه والشؤم قد أحاط به من كل جانب، وكانت الحياة الهادئة المطمئنة قد خرجت نهائيا من دائرة قدره، فلم تكن أوضاع السليمانية قد أعيد ترتيبها بعد عندما داهمت الهيضة المدينة وملحقاتها بكل قوة وشدة ووضعتها بقضها وقضيضها في قبضة سطوتها. كانت الوفيات تزداد يوما بعد آخر.

بصورة فجيعة. كانت العملية التخريبية التي يحدثها الوباء في حيوات الناس قد انقلبت إلى طاعون، فلم يكن قد بقي لدى أي أحد أمل في مواصلة الحياة، وقد بلغ الأمر حد أن لم تبق هناك معمورة يمكن أن يطلق عليها اسم البلدة أو القرية، وأخذ الجميع يتوجهون نحو الجبال ويختفون في المغارات والكهوف. ومع ذلك لم يكن هناك إمكان للخلاص من بين مخالب الأجل.

ماذا كان بوسع محمود باشا أن يجنيه من فائدة من وراء حكم صادف زمنه عهدا كذلك العهد؟ ظل الوضع يواصل وجوده علي هذا النحو، وكانت الأيام تنقضي على هذه الوتيرة، إلا أن سليمان باشا ما كان ليتزحزح قيد أنملة عن طموحه في القبض على ناصية الحكم، رغم هذا الدمار الذي كان يطارد الحياة، فاتصل بالوالي داود باشا وعن طريقه جاء بقوة عسكرية كافية هاجم بها محمود باشا. وكان محمود باشا في حد ذاته في حالة اليأس. ومع ذلك فقد كان لديه بقية من القوة ليسوقها للوقوف بوجه سليمان باشا. وبناء على ذلك ترك السليمانية في المحرم من العام ١٢٤٧هـ متوجها إلى إيران. ومع أن سليمان باشا سار وراءه مطاردا إياه حتى بلغ ياندواب، إلا أنه لم ينل في مسعاه هذا أي نجاح، فعاد أدراجه من حيث أتى.

سار محمود باشا إلى تبريز طالبا المعونة من عباس ميرزا، فأرفقه هذا بالقوة الكافية. وفي جمادى الآخرة من العام ١٢٤٧هـ التقى في نالپاريز بقوات سليمان باشا. وفي ختام القتال الذي وقع بين الفريقين أصيبت قوات سليمان باشا بهزيمة اضطرته للرجوع إلى الوراء وتعرض أتباعه إلى مصاعب جمة وأسر معظم قادته. ومع ذلك فقد حالت رأفة محمود باشا وعواطفه الوجدانية من دون أن يعاقبهم على ما اقترفوه بحقه من خيانة، فأطلق سراحهم بعد أيام من سجنهم، ودخل محمود باشا السليمانية أخيرا. أما سليمان باشا فقد توجه إلى كفري حيث استنجد بداود باشا من جديد. وفي رجب من السنة نفسها هاجم محمود باشا على رأس القوة العراقية التي جاءت لنجدته، فغادر محمود باشا السليمانية من دون مقاومة قاصدا تبريز لأنه لم يعد له اطمئنان

عسكري بقوة السليمانية.

وفي هذه الأثناء كان السلطان محمود الثاني قد علم كيف أن أوضاع البلاد غدت ألعوبة في أيدي حفنة من المحتالين وراء مطامعهم الخسيسة.

وبناء على ذلك فقد عزم على تطهير الباب العالي والمابين الهمايوني من أولئك السَّفلة. وبعد أن فرغ من مهمته تلك وجه همته نحو المناطق الملحقة، فكان من بين أولئك الذين رأى ضرورة طردهم من مناصبهم داود باشا الذي بلغ كوكب سعده منتهى صعوده وحان أوان إدباره. وبناء على ذلك فقد عزل من مقامه في العام ١٢٤٧هـ وعين علي رضا باشا بدلا منه وأرفق بقوة قوامها عشرون ألف شخص لإلقاء القبض على داود باشا وأرسل إلى العراق. وما إن وصل المشار إليه ضفاف نهر الفرات حتى اطلع داود باشا على كيفية الأمر، ولكن النبأ الذي بلغه لم يقلقه، بل على العكس من ذلك أخذ يضحك مستهزئا، فمن ذا كان يعزله؟ أليس هو السلطان محمود الذي لم يكن داود باشا يعتبر نفسه موظفا مرتبطا به، بل كان يعتبر نفسه متبوعا لا تابعا لأحد. وفي هذه الحالة لم يكن عزله أمرا يعود شأنه إلى السلطان محمود الثاني. ولذلك فإذا كان لعلي رضا باشا أن يأتي فسيكون عليه أيضا أن يرى مايرى. ويشير كتاب «مطالع السعود بأخبار الوالي داود» في تأريخ الأحداث الوطنية إلى هذه القضية على النحو التالي:

«كان داود باشا يفكر في تشكيل حكومة داودية في مابين النهرين، وكان قد عزز فكرته هذه التي عقد العزم عليها وضمنها بمدربين عسكريين وجيش قوامه مئة ألف رجل منظم تحت السلاح. وإضافة إلى هؤلاء فقد استحضر أسلحة ومهمات حربية تحت إشراف الكوادر الصناعية والمتخصصين من أوروبا، ولذلك فقد كان ينظر إلى تعيين علي رضا باشا وإرساله نظرة استخفاف ويضحك منه، إلا أن العدالة الباهرة والقدرة القاهرة لحضرة المنتقم الحقيقي قد أحلت أيام الختام لحياة إقبال داود باشا وقربت أوان كسر أنف رعونته وإحلاله في حالة ابتذال غروره ونخوته الاستكبارية.

أجل، إن الأعمال الخيانية التي كان قد قام بها داود باشا تجاه ولي نعمته، قد أثارت حتى الغيرة الإلهية.

فقد كانت خيانته التي تأتي في المرتبة الأولى الإعراض والتحول إلى داعية انفصال واستقلال عن مقام الخلافة التي هي القبلة التي ينتسب إليها الجميع باعتبارها مركز الارتباط الذي تتجه إليه الجامعة الإسلامية، وعن مقام السلطنة الذي أضفى عليه

شرف الولاية ومنحه النفوذ والحكومة.

وكانت خيانته التي تأتي في المرتبة الثانية نسيان النعمة التي أنعم بها عليه سليمان باشا وتجاهلها بالاستيلاء على مقام الولاية الذي ورثه منه نجله سعيد باشا وعدم اكتفائه بذلك وإقدامه على إعدامه في حين أنه كان مجرد عبد اشتراه سليمان باشا من ماله الخاص ونظر إليه نظرته إلى أولاده وعلمه ورباه واتخذه فيما بعد صهرا له وأدخله ضمن محارمه وآواه في حضن شفقته.

أما الخيانة الثالثة التي كان قد ارتكبها فهو أنه التجأ في خضم المشاكل المهلكة التي تؤدي به إلى محمود باشا بن عبدالرحمن باشا الباباني واستظل بجناح رأفته ومحاباته، ولم يكتف محمود باشا بمجرد حمايته والحفاظ عليه كما أسلفنا ذكره، بل أقعده على مقام الإيالة والوزارة، فكان جزاؤه له على ذلك مساعيه للقضاء على الأسرة البابانية وإنهاء وجودها وبذلك عرض نفسه لغضب حضرة المنتقم القهار.

أجل، فما كاد علي رضا باشا يصل أطراف بغداد حتى بدأت الإجراءات القهارية تكشف عن مظاهر قهر الباري وبدت معالم هذا الغضب الانتقامي في صورة وباء أصاب منطقة حكمه ومصدر استكباره ونخوته وانتشر فيها كلها انتشار النار في الهشيم وصفاها وأبادها عن آخرها.

ومايحير المرء، أو بعبارة أخرى ماهو جدير بالاعتبار أن هذا المرض الساري المدهش الذي تعرضت له حياة العامة أتى على جميع الجنود المدربين وعلى الموالين الفكريين والمساعدين وخدم الاستبداد وعوائلهم الذين كانوا حول داود باشا، في حين أنه لم يصب حتى فردا واحداً من أفراد قوة علي رضا باشا. وهكذا لم ينج منه إلا عشرون شخصا من جنود داود باشا وأفراد أسرته وأحفاده وزوجاته.

وبعد هذا الدمار الذي سبّبه لداود باشا غروره واستكباره اتعظ بما جرى له وانتبه لما آل إليه أمره، فترك جانبا العناد والمكابرة إزاء علي رضا باشا وسار إليه وسلم نفسه له مضطراً للانصياع إلى مايريده منه، فعفا عنه علي رضا باشا وغفر له حركاته وتصرفاته التي بدرت منه من قبل وأرسله إلى استانبول مع إشعار بإنهاء أحواله وإطاعته الأوامر الصادرة إليه. وبعد إنهاء قضيته عين شيخا للحرم النبوي الشريف وأرسل إلى المدينة المنورة.

وفي العام ١٢٤٨هـ اغتنم محمد باشا الرواندوزي فرصة اختلاف أمراء البابان فيما بينهم، فبدأ حركاته التعرضية على الأراضي البابانية من جديد، وكانت الحكومة

الإيرانية قد شكته من قبل لدى الباب العالي على تعرضاته للحدود الإيرانية وطلبت منها تأديبه. ومع أن الباب العالي كان يلح باستمرار على علي رضا باشا للقيام بذلك، إلا أن المشار إليه لم يكن ليجرؤ على تنفيذ ما كان يطلب منه لغلظة مزاج محمد باشا وكثرة قواه ومناعة مواقعه، ولذلك فقد راسل الحكومة الإيرانية واتفق معها على تشكيل قوة بقيادة سرتيب محمد خان واستحضارها من إيران وأرسل هو أيضا قوة مماثلة بقيادة كمال ينز. وسيرت هاتان القوتان بصحبة سليمان باشا حاكم السليمانية وأرسلتا لتأديب محمد باشا. وعندما علم محمد باشا بهذه الإجراءات المتخذة ضده بادر هو إلى مهاجمة السليمانية من دون اكتراث بما فيها من قوة واشتبك الخصمان في قرية قمچوغة بناحية سورداش. وفي المعركة التي دارت بينهما هزم الرواندزيون واضطروا إلى الفرار نحو كويسنجق، وظلت القوات المتحالفة الإيرانية والعثمانية والبابانية تطاردهم حتى استردت كويسنجق أيضا وطهرتها منهم، كما استردت مضيق بابان المعروف بدربندى رانيه والمضيق الواقع بين الأقضية المعمورة، إلا أن هذه الانتصارات كلفت المنتصرين كثيرا إذ خسروا حوالي ثلث قواتهم، ولذلك فانهم لم يجرأوا على التقدم أكثر رغم أنهم كانوا قد وقفوا لإحراز انتصاراتهم بقوة ومتانة عاليتين، فالعوارض الجبلية ومناعة المواقع كانت تسد بوجههم طريق الأمل لإحراز انتصارات أخرى. ولحسن الحظ توسط بين الأطراف المتقاتلة بعض الوسطاء في تلكم الأيام وتوصلوا إلى عقد صلح بينهم في إطار مواد الشروط التالية:

المادة الأولى: سهول رانيه وبيتوين وخلكان وچناران التي يقطعها الزاب الصغير من الشمال إلى الجنوب يكون جانبها الأيمن تابعا للسليمانية وجانبها الآخر تابعا لرواندوز، ويمتنع الطرفان عن التجاوز كل منهما على حقوق ملكية الطرف الآخر.

المادة الثانية: تبقى أراضي لاهيجان تابعة لرواندوز. أما الطرف الآخر منها الداخل في إطار الحدود الإيرانية،و فلا يتعدى عليها أحد ولا يتقدم نحوها خطوة واحدة.

المادة الثالثة: المناطق الواقعة شمالي مضيق دربند يكون جانبها الشرقي تابعا للسليمانية وجانبها الغربي للرواندوزيين.

المادة الرابعة: بإمكان كلا الطرفين بناء القلاع الترصدية والدفاعية حسب الحاجة.

أفتظنون أن محمد باشا التزم بشروط الصلح الذي عقد على أساس المواد المذكورة آنفا، وهل يمكن ذلك؟ فهو، ما كان يحصل على فرصة إلا وسار وراء مطلبه من دون تأخر وقام بأعماله العدوانية من دون تخلف. فقد تلقى دروس المطامع من داود باشا

وكان يعتبرها تذكارا حيويا.

وبناءً على ذلك فقد بدأ الاعتداءات على الأراضي الإيرانية وعلى الشعب الإيراني، ولذلك فإن الحكومة الإيرانية واصلت ضغطها على الباب العالي، كما أن الباب العالي واصل بدوره ضغطه على علي رضا باشا لتأديب المومأ إليه. ومع أن مناعة الموقع الذي كان يتحصن فيه محمد باشا ووحشية أهل رواندوز كانتا قد ألقتا الرعب في نفس علي رضا باشا، إلا أنه لم يكن يتمكن من الوقوف من دون اكتراث إزاء الأوامر القطعية التي كان يصدرها إليه الباب العالي. وبناءً على ذلك فقد اتخذ الإجراءات الضرورية في العام ١٢٤٩هـ لبدء العمل والتوجه بنفسه للهجوم على رواندوز، إلا أنه لم يحصل، من حيث النتيجة، على النجاح المطلوب، وعاد القهقرى مهزوما مدحورا. وقد فسرت هزيمته هذه من لدن الباب العالي بعدم اقتداره، فعزل من منصبه وعين مكانه رشيد آغا المعروف بالگويزلگلي، فتحرك المشار إليه بقوة أكثر ضجة وأبهـة صوب رواندوز واستمرت مصادمات الجانبين لا أياما فقط وإنما أسابيع عدة. ومع هذا فإن علائم النجاح لم تلُح لصالح أي من الفريقين، فأصدر العلامة الملا محمد الخطي من علماء كُردستان فتواه بمنع محمد باشا من مقاتلة العساكر الإسلامية. كان الملا الخطي من قرية (ختى) من ملحقات رواندوز، وكان موضع اعتماد كُردستان كلها واحترامها لتمتعه بكل معاني الفضيلة وسمو منزلته العلمية.

فقد سار هذا العالم إلى محمد باشا وأفهمه أن الإعراض عن خليفة الإسلام والقتال ضد العساكر العثمانية هما الكفر بعينه وأنه إذا لم يضع حدا لهذا القتال فسيعلن ارتداده عن الإسلام على كل حدب وصوب، وطلب منه الخضوع والانقياد.

اضطر محمد باشا للاستجابة لهذه الدعوة وتوجه بنفسه متنكرا اسماً وزياً إلى حيث رشيد باشا ليطمئن منه عما إذا كانت سلامته مضمونة أو لا؟ وعندما مثل بين يديه قال له إنه مبعوث من قبل محمد باشا ليسأله عن الشروط التي يترك بموجبها مخاصمة محمد باشا، فأجابه رشيد باشا بأن ترك المخاصمة يتوقف على أن يسلم محمد باشا نفسه. وفي هذه الحالة فإن حياته وحياة أولاده وزوجاته وأموالهم ستكون مصونة وأنه سيبعث معززا مكرما إلى إستانبول ولايرتكب بحقه أدنى اهانة. وعندما سمع محمد باشا هذا الجواب منه، أعلن أنه هو محمد باشا وسلم نفسه له.

وأوفى رشيد باشا بالعهد الذي قطعه له على نفسه ولم يعمل أي شيء تجاهه وأرسله إلى الآستانة بكل احترام وتقدير. وقد ظل هناك حينا من الزمن متمتعا

باحترامه، ولكنه قتل أخيرا بان دس له السم في طعامه، وقيل أغرق في البحر الأسود (المترجمان).

ومع أن حدا وضع لمشكلة محمد باشا الرواندوزي على هذا النحو، الا أن مخالفة البابانيين ظلت على حالها. فعندما وصل محمود باشا تبريز لم يحصل على أي حل لتحقيق مآربه، فسار إلى طهران، وظل هناك يائساً أيضا من الحصول على أي شيء، وبناءً على ذلك لم يجد له علاجا إلا في الالتجاء إلى الآستانة.

وسار في السنة ١٢٥٠هـ إلى إستانبول، ولم تكن السليمانية على علم بذلك، وظلت زمانا طويلا تترقب ظهور خبر عنه في أي مكان كان ولكن لم يبد له أي أثر أينما كان.

وفي السنة ١٢٥٢هـ ادعى حمه شريف رئيس عشيرة الهموند القاطنة حاليا في قضاء بازيان أنه إبن عبدالرحمن باشا، وبناءً على ذلك فإن له حق الحكم في السليمانية وانبرى لمخاصمة سليمان باشا. كان حمه شريف هذا ابن امرأة تدعى رندان، وكانت رندان هذه جارية مستفرشة لعبدالرحمن باشا ادعت أنها حملت من عبدالرحمن باشا بعد أن تزوجها. وهكذا كان حمه شريف يرى نفسه مستحقا لمقام الحكومة البابانية.

كان حمه شريف جسورا شجاعا للغاية ولم يكن يقبل أحدا ندا له في ساحة الوغى وكان غيورا قدر ما يمكن تصور الغيرة، ولم تكن العشائر التي تحت إدارته تشبه أيا غيرها من العشائر في مجال الشجاعة، ومايزال أبناء هذه العشيرة يتمتعون بتلك البسالة التي يمكن اعتبارها أنموذجا متوارثا لشجاعة أجدادهم، ومع هذا فإنهم متخلقون بخلقين متضادين مذموم وممدوح وخلقهم السيء المذموم هو الشقاوة وقطع الطريق. لقد كان الممر الموصل بين السليمانية وكركوك ساحة شقاواتهم. وإضافة إلى ذلك لم يكونوا يتخلفون عن مد أيدي شقاوتهم إلى جهات بغداد وكرمانشاه أيضا، بل حتى إن شدة مكافحتهم في أيام البابانيين لم تستطع أن تدخلهم ضمن دائرة التأديب، ولم تكن الحكومة العثمانية لتتخلف عن تعقيبهم وتأديبهم. ومع أنه حدث مرارا وتكرارا أن رفعت عشرة إلى خمسة عشر من رؤوس رجالهم المقطوعة على أسنة الرماح وعرضت أمام دار الحكومة على مشهد ومرأى من العامة، إلا أنهم ما كانوا ليتعظوا بذلك ويأخذوا منه درسا للعبرة. ولكن بعد إعلان الدستور فان إعجازه جعل من هؤلاء يركنون إلى الهدوء والسكينة من دون محاربة أو مطاردة.

وبالمقابل من أخلاقهم السيئة المذمومة لهم فضائل وحسنات كذلك، وأخلاقهم

الفاضلة هي أنهم خدومون إلى حد كبير، ويراعون الحقوق، وهم لايرتكبون أي عمل سيء إزاء أصدقائهم ومعارفهم، ولايتعرضون في أثناء شقاواتهم للنساء بأي حال وإن كن يحملن أحمالا من الحلي والذهب والفضة ويرون في التعرض للنساء عملا لايمكن أن يبدر من الرجال أبدا. وفي ميدان الاستضافة، لايمكن لكرم ضيافتهم ورعايتهم للضيوف أن يحيط به الوصف قط.

أجل، إن حمه شريف هذا كان رئيس العشيرة في العام ١٢٥٢هـ وقد دخل مع مقاتلي عشيرته الألف الشجعان ميدان الخصومة ضد سليمان باشا، واستمرت المصادمات والمبارزات بين الطرفين حينا من الزمن حتى قرر حمه شريف وضع خاتمة لها. ففي مساء اليوم الذي قرر فيه قراره هذا نادى حلاقه وطلب منه أن يحلق له رأسه على أحسن صورة لأنه إما أن يصبح غدا رئيسا للحكومة أو يرفع رأسه فوق نصل ويعرض في مشهد عام ليتعظ به الناس. وفي كلتا الحالتين يجب أن يكون الرأس جميلا وأنيقا ومرتبا. هذه رواية متواترة محلية يتناقلها الجميع.

وفي واقع الأمر، وقعت صباح اليوم التالي معركة بين أنصار حمه شريف الذين كانوا بقيادته هو وبين قوات سليمان باشا على مسافة خمسة كيلومترات من السليمانية وقد أصيب فيها حمه شريف برصاصة أردته قتيلا، ففصل رأسه عن جسده وركّب على نصل رمح ووضع على مشهد من العامة أمام دار الحكومة ليعتبر به أولوا الأبصار، فكانت النساء النادبات يرددن إلى أمد طويل في المآتم الندبة المؤثرة التي ندبته بها والدته المكلومة المفجوعة.

وهكذا اقتلع سليمان باشا آخر شوكة كانت توخز جنب حياة حكومته، فلم يبق هناك خطر يضع المشاكل أمام إدارته الأمور.

ومع أن المشار إليه أقام حكمه بصورة كانت حافلة بالعقبات والعثرات، إلا أنه قضى الفترة التالية منه هادىء البال مرتاح الخاطر.

ولكن هيهات هيهات! فالسعادة في الحياة لاتبقى لأحد إلى أبد الآبدين، فالضربة الحاسمة لاتكمن أصلا في الغالبية والمغلوبية في الصراع الذي يدور من أجل نيل السعادة في الحياة، فهذه الظواهر مجرد حالة لاشعورية منبعثة من قوة الإرادة لدى الروح. والواقع أنه لو لم تكن هذه الحالة اللاشعورية لانخدع الإنسان بالحياة العادية ولما اكتسب الغرور إلى هذا الحد. إن الغرور ينبعث من اطمئنان المغرور إلى أن سعادته أبدية، في حين أنه، وبصرف النظر عن العوارض الحياتية، مادام الإنسان واقعا تحت

تأثير تهديد دائم لقدر محير كالموت، فلن يكون بوسع السعادة في الحياة أن تضع ابتسامة على شفتيه.

أجل، إن الضربة الأصيلة هي ضربة الأجل، لأنه ليس هناك أي مقاومة إزاء الأجل، وليس هناك علاج أمامه سوى الاستسلام والرضا بالقضاء. إذاً، فالموت أمر مطلق الوقوع سيحل يوما ما على حياة الإنسان.

وهكذا فإن المساعي التي بذلها سليمان باشا أيضا في سبيل البحث عن السعادة، وتلك السعادة التي استطاع الحصول عليها، تستطيع، هي الأخرى، كذلك أن تقاوم أمام ضربة الأجل. وبحلول أجله المقرر انصاع للاستسلام لفراش المطاوعة والانقياد.

رحل المشار إليه في العام ١٢٥٥هـ إلى رياض الآخرة، وتبوأ مقامه ابنه الأكبر أحمد بيگ وجلس على كرسي الحكومة. وقد رثاه نالي، من شعراء عصره، بمقطوعة شعرية كردية أرخ فيها لوفاته، وهي هذه التي نحاول هنا ترجمتها إلى اللغة العربية:

لم تزين الورود الرياض ولم تتفتح شفاه البراعم،
حتى بكت السماء وعمت الأحزان الأرض
لم يرتو الفرع الجديد ولم يعل ساقه،
حتى قطع بستاني القدر ساق الشجرة الأصلية
لم يوشح (أحمدنا المختار) العرش الملكي،
حتى غدا (السليمانون) صدورا أعاظم لعرش الآخرة.
ما أحلى الحديث من دون كناية ومجاز. ان سلطاننا الذي
كان من العدل بحيث لم يكن له عديل في الدنيا،
لم يكن هناك موضع ليحط عليه طائر روحه العالية الفطرة،
أكثر لطافة من رياض جنة المأوى.
كما أن القياس المثبت محققة النتيجة قطعا،
لم يكن سلطاننا العالي الجاه خاليَ المكان.
إيه يا (نالي)! إن السلطان ذا المجد الجمشيدي، تأريخ وفاته (تأريخ جم)،
كي لايقال إنه لم يكن في عصرنا (إسكندر) آخر له مجد (جمشيد).

هذا، وقد جرى تسليم جثمان سليمان باشا إلى أرض الغفران، بناءً على وصيته هو،في تل سيوان المتصل بالسليمانية وشيدت على مثواه قبة. وتل سيوان عبارة عن سلسلة من التلال تقع جنوبي شرقي مدينة السليمانية، وقد اتخذ منها مقبرة ودفن فيها

لحد أيامنا هذه مئات الألوف من الموتى، وهي تواجه المدينة مكونة منظرا بديعا حيث زرعت فيها الألوف من شجرة الأرجوان. إنها تشبه روضات متسلسلة عالية وليس مقبرة.

وخلف من بعد سليمان باشا ثلاثة بنين هم أحمد بيگ وعبدالله بيگ ومحمد بيگ.

أيام حكومة أحمد باشا

عندما تبوأ أحمد باشا المقام الموروث أخذ يهتم أشد مما كان يهتم من قبل بضبط الأمور وضبطها، فبلغ بسياسة التأديب بالنسبة للمقصرين حدا مفرطا. فقد كانت العصبية شديدة في طبيعته ولم يكن مزاجه مما يسمح بالتسامح إزاء أي حركة مخالفة، ولذلك لم تكن تقع اختلافات بين الأمراء ولم تكن تحدث أي فوضى أو نفاق بين الأهلين، ولم يكن يلاحظ تجاوز حدود الأدب من أي أحد.

وكان مرتكبو الوقائع الإجرامية التي قد تقع خارج المدينة يهربون إلى المناطق الواقعة على الحدود الإيرانية خوفا من العقاب الذي كان ينتظرهم، فكانوا يختبئون بين العشائر الهورامانية، فكان الرؤساء الذين يلوذ بهم هؤلاء المجرمون يرفضون إطاعة أوامر أحمد باشا بشأن تسليمهم، وهذا ما لم يكن بوسع أحمد باشا القبول به لأنه كان يعني إيجاد مأمن لمرتكبي الجرائم يحتمون به ويحول من دون ضمان الأمن في الداخل، لذلك وجه قوة تأديب إلى منطقة هورامان، وكان أفراد هذه القوة يحملون معهم آلاف الطبور، وكان الغرض من هذه الطبور قطع أشجار بساتين الهورامانيين وتدمير منازلهم بعد هرب أصحابها.

وهكذا، فعندما وصلت القوة التأديبية هورامان وجدت المنطقة خاوية على عروشها، فقطعت جميع بساتينهم ودمرت منازلهم، وكانت هذه الضربة جد كبيرة بالنسبة للهوراميين، فقد كانت بساتينهم مدار معيشتهم. وعندما أبلغت هذه الأخبار مسامع الحكومة الإيرانية هاجم والي سنندج بقوة كبيرة مدينة[٤٨] السليمانية. وعندما علم

(٤٨) أشار المؤرخ الكردي المعروف محمد أمين زكي بيگ في كتابه «الكرد وكردستان» إلى هذه القصة قائلاً: «نقلت هذه القصة من دفتر «حسين ناظم بك» وهي مذكورة في هذا الدفتر (الكتاب) الذي بين أيديكم باللغة التركية مما حدانا اعتبار هذا الكتاب من تأليف (حسين ناظم بيگ» وهو لا يحمل أي اسم لمؤلفه وربما كان الجزء الأخير لكتاب ذي أجزاء عديدة ضاعع

أحمد باشا بذلك أرسل قوة بقيادة أخيه عبدالله باشا للتصدي للقوة المهاجمة، وتلاقت القوتان في مريوان وجرت بينهما معارك عدة انتهت بهزيمة والي سنندج ورجوعه القهقر. وشكت الحكومة الإيرانية لدى الباب العالي على ماجرى لوالي سنندج وطلبت تأديب أحمد باشا، فأرسل الباب العالي والي بغداد محمد نجيب باشا لتأديب أحمد باشا، وقد أخذ مع قوته العراقية ما كان موجودا في الموصل وكركوك من قوات وتوجه إلى السليمانية من طريق أربيل.

وما إن اطلع أحمد باشا على كيفية الأمر حتى تقدم بقواته إلى أن وصل كويسنجق لوقف الأعمال التعرضية التي جاء محمد نجيب باشا للقيام بها وليتفادى إصابة السليمانية بويلات القتال، وهناك وقف وجها لوجه أمام قوات محمد نجيب باشا. كان جدي يروي تفاصيل ما دار في هذه المعارك على النحو التالي، وكان إذ ذاك في مقتبل الشباب:

كان لأحمد باشا بإزاء قوة جد مهمة لمحمد نجيب باشا خمسة طوابير مدربة من العساكر، تعاونها قوات كثيرة من العشائر. ومع ذلك فقد كان متخلفا كثيرا بالقياس إلى قوات محمد نجيب باشا. وبالرغم من ذلك فقد كان المتوقع أن يكون النصر إلى جانبه.

أجل، لقد كان محمد نجيب باشا قد يئس من إحراز النصر، ولذلك فقد أبدى مرارا وتكرارا رغبته في الصلح، ولكن أحمد باشا كان يتحاشى الجنوح للصلح، فقد كان يرى نفسه في وضعية الغالب، وبغية الإسراع في إحراز النصر النهائي أمر بصرف راتب إضافي للجنود وأصدر تعليماته بهذا الشأن إلى الخزندار أحمد أفندي لصرف الراتب المذكور، ولكن أحمد أفندي وقف معارضا ذلك وقال للباشا: ياسيدي! إن الجنود في طباع الكلاب،كلما جاعوا أكثر قاتلوا بضراوة أشد. يجب علينا أن نأخذ بنظر الاعتبار احتمالات التعرض لنا، فقد يتوجه طابع الحرب إلى الاتجاه المعاكس، فإذا أصابتنا نكسة كان مايقوي موقفنا هو المال، ولذلك فإن علينا رعاية الصرف. وهكذا غدا أحمد أفندي حائلا دون صرف الراتب الإضافي المقرر. وعندما علم الجنود بذلك أخذوا يتداولون في الأمر فيما بينهم، فقرروا القضاء على أحمد أفندي والتفرق فيما بعد. ولتنفيذ الخطة حددوا منتصف الليلة التالية وجعلوا من إطلاق رصاصة واحدة

معظمها ولم يصلنا منه غير هذا الجزء المخصص لتأريخ بابان. - المترجمان.

علامة البدء بالتفرق. وقد فعلت الرياح السود العاصفة فعلها في تلك الليلة، فكانت تساعد على إخفاء حركاتهم الجنود والتدابير العسكرية التي اتخذوها. وما إن حل منتصف الليل حتى دعا دوي طلقة واحدة الجنود إلى النهوض. وفي الحقيقة، ما إن دوت الطلقة حتى بادر كل عسكري إلى حمل سلاحه بيده وهاجموا أحمد أفندي، وفي لحظة واحدة أنهوا حياته، وبعد ذلك لم يبق أحد منهم في المقر. وبعد أن بلغ الأمر هذا الحد اطلع أحمد باشا على ماجرى، ولكن ما الفائدة؟ فقد كان السيف سبق العدل. كان قد انقضى وقت تدبير الحال وتلافي ما فات. ما كان قد بقي لأحمد باشا أن يفعله هو أن يمتطي صهوة حصانه ويهرب بجلده وينقذ نفسه قبل أن يقع في يدي محمد نجيب باشا، وهذا مافعله بالطبع. ومع أن وجهة مسير المشار إليه كان في بادئ الأمر إيران، إلا أنه وجه اهتمامه نحو إستانبول.

ولايفوتني هنا أن أسجل حالة لاتخلو من اللطافة حدثت في أثناء هذا التشتت العسكري غير المنتظر. كان هناك شخص يسمى (مامهياره) ظل على قيد الحياة حتى السنة ١٣١٢هـ. كان هذا الشيخ الطاعن في السن يحتفظ بشكله وبقواه البدنية إلى أن حلت ساعة أجله، وكان نشاطه ومبادرته متناغمين مع عمره. كان يرتدي في الأيام الرسمية زيه القديم المدرع، وكان يحمل سلاحه ويقوم بأعمال غريبة عجيبة. وفي كل يوم جمعة كان يقف في المسجد وسط السوق ليلقي المواعظ على الناس، ولكن مواعظه لم تكن لتشبه مواعظ رجال الدين.إنها كانت شيئا خاصا به ومضحكا وكانت نصائح مفيدة.

كان هذا الرجل في عهد أحمد باشا مدفعيا. وفي ليلة كويسنجق حيث تفرق الجنود أيادي سبأ على النحو الذي ذكرنا آنفا، وابتعد أحمد باشا ولم يبق أحد في الميدان، لم يكن صاحبنا الصوفي هذا ليبتعد عن مدافعه التي كان مسؤولا عن إدارتها. وفي صباح اليوم التالي الذي أعقب تفرق قوات أحمد باشا من حوله، وعندما علم محمد نجيب باشا بالأمر وكانت بعض الخيم والأمتعة وغير ذلك باقية في مقر أحمد باشا، شغل الصوفي مجددا مدافعه واستأنف القصف من دون أن يتوقف عن فعالياته. ولفترة معينة لم يدع الجنود العراقيين يتقربون منه، إلا أنه اعتقل أخيرا وسيق إلى حيث محمد نجيب باشا. وعندما سألوه عمّ كان يدافع بعدما لم يبق أحد في الساحة وباتت خالية؟ أجاب بأن كل واحد مسؤول عن وظيفته، وتشتت الجند لايبرر لي أن أتخلى عن عملي ولاأواصل وظيفتي مادامت لي طاقة، وما عليّ بما يفعله الآخرون.

وقد سر محمد نجيب باشا أيما سرور بجوابه هذا، فخيره في تقديم أي طلب شاء، فخصصت له قرية (کانی درکەی سگان) الخالية من السكان بنسبة العشر من حاصلاتها.

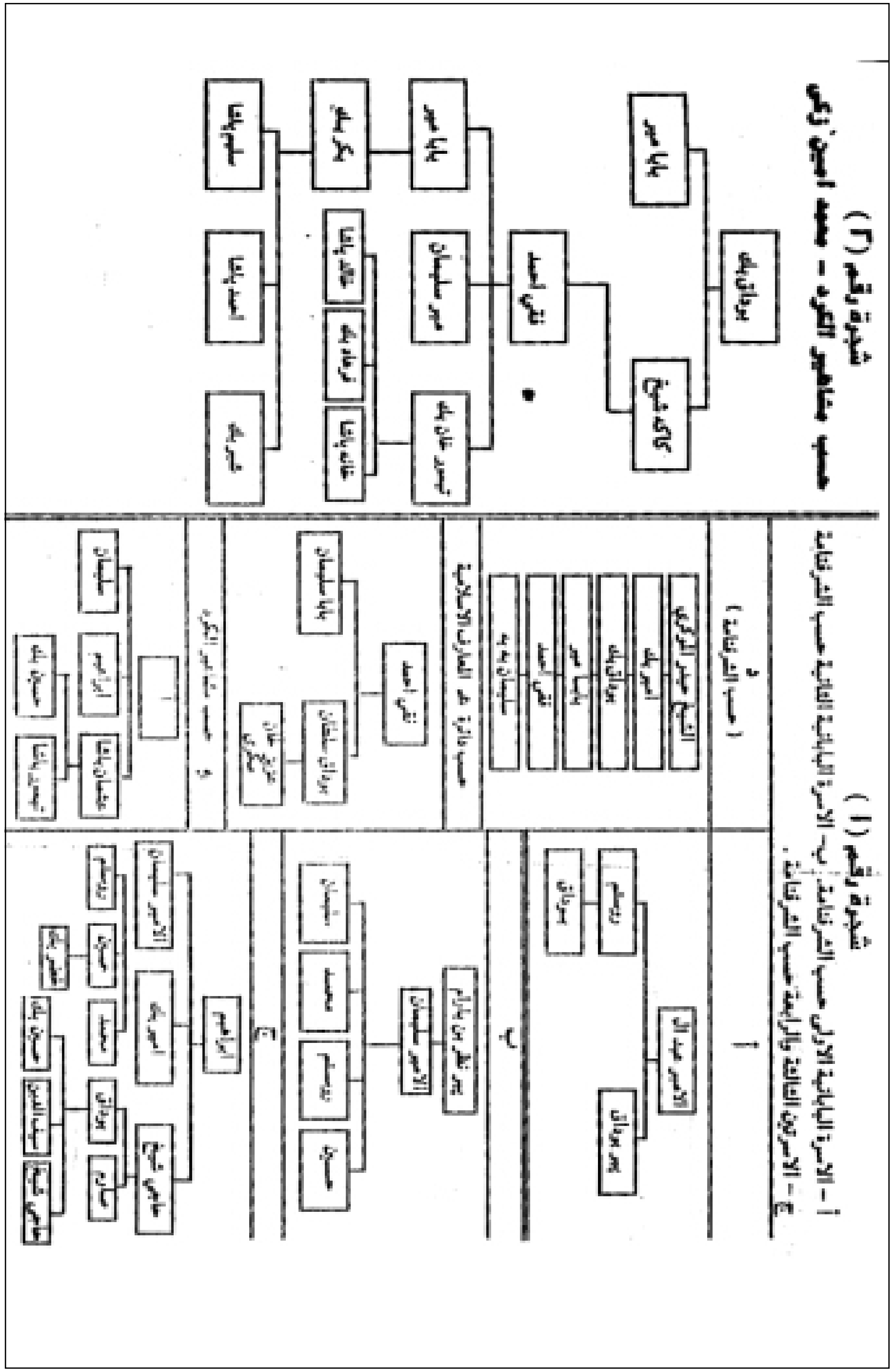

شجرة رقم (٣)

من مخطوطة المرحوم جلال بابان وهي أصل السلالة الخامسة التي تبدأ من فقي احمد داره شمانه ومحرر الشجرات هو خالد پاشا الاول .

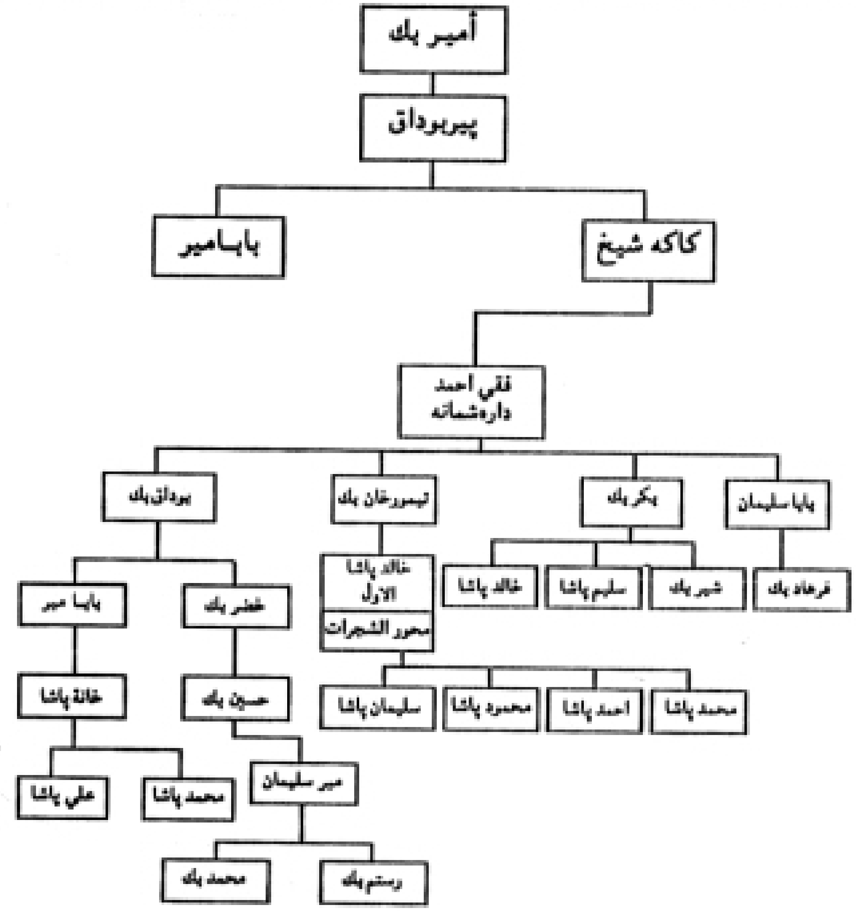

نقلاً عن كتاب بابان في التاريخ ومشاهير البابانيين

شجرة رقم (٤)
من مخطوطة المرحوم جلال بابان

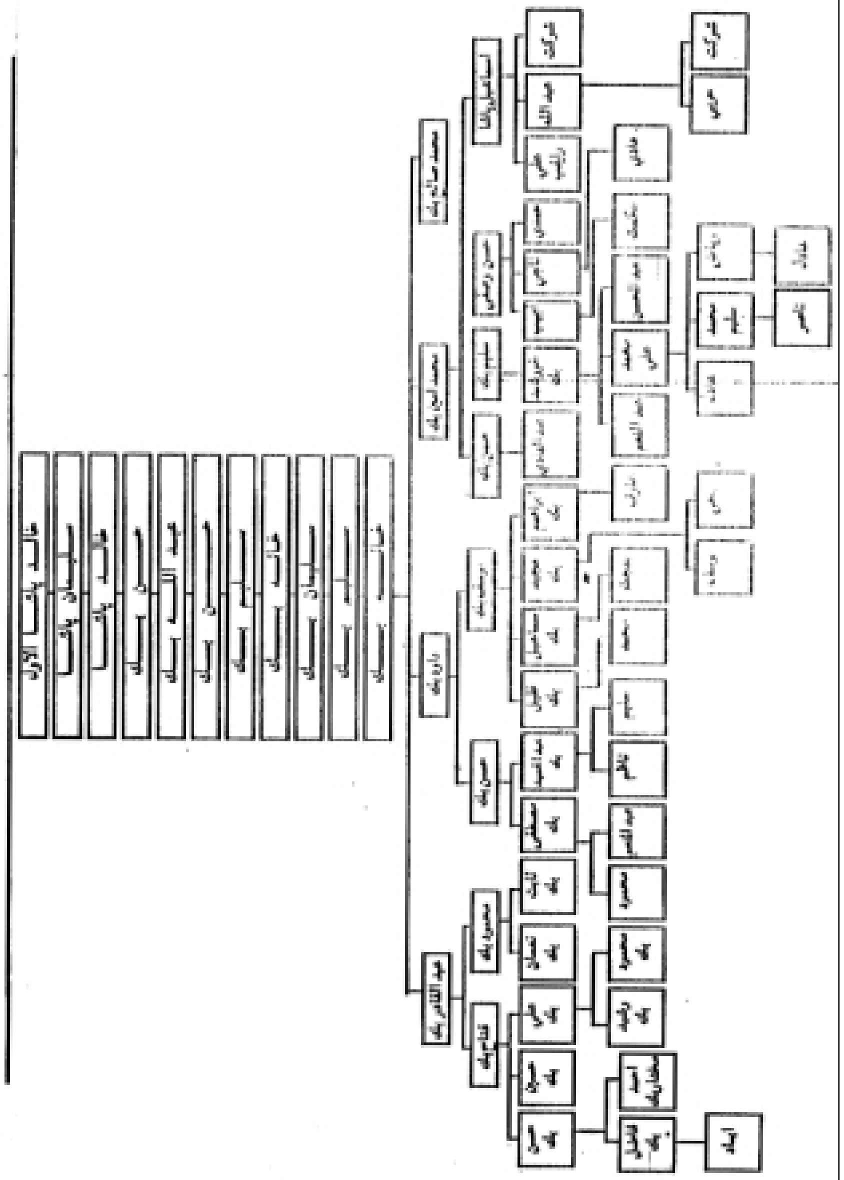

شجرة رقم (٥)
من مخطوطة المرحوم جلال بابان

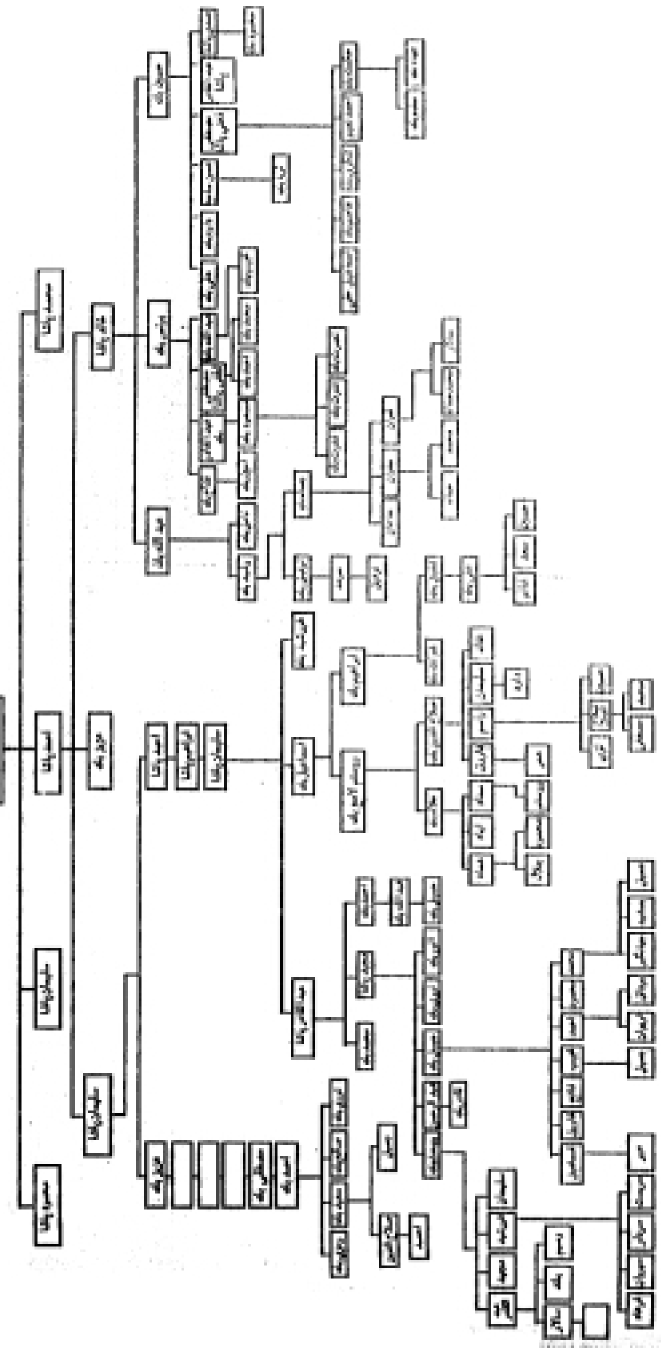

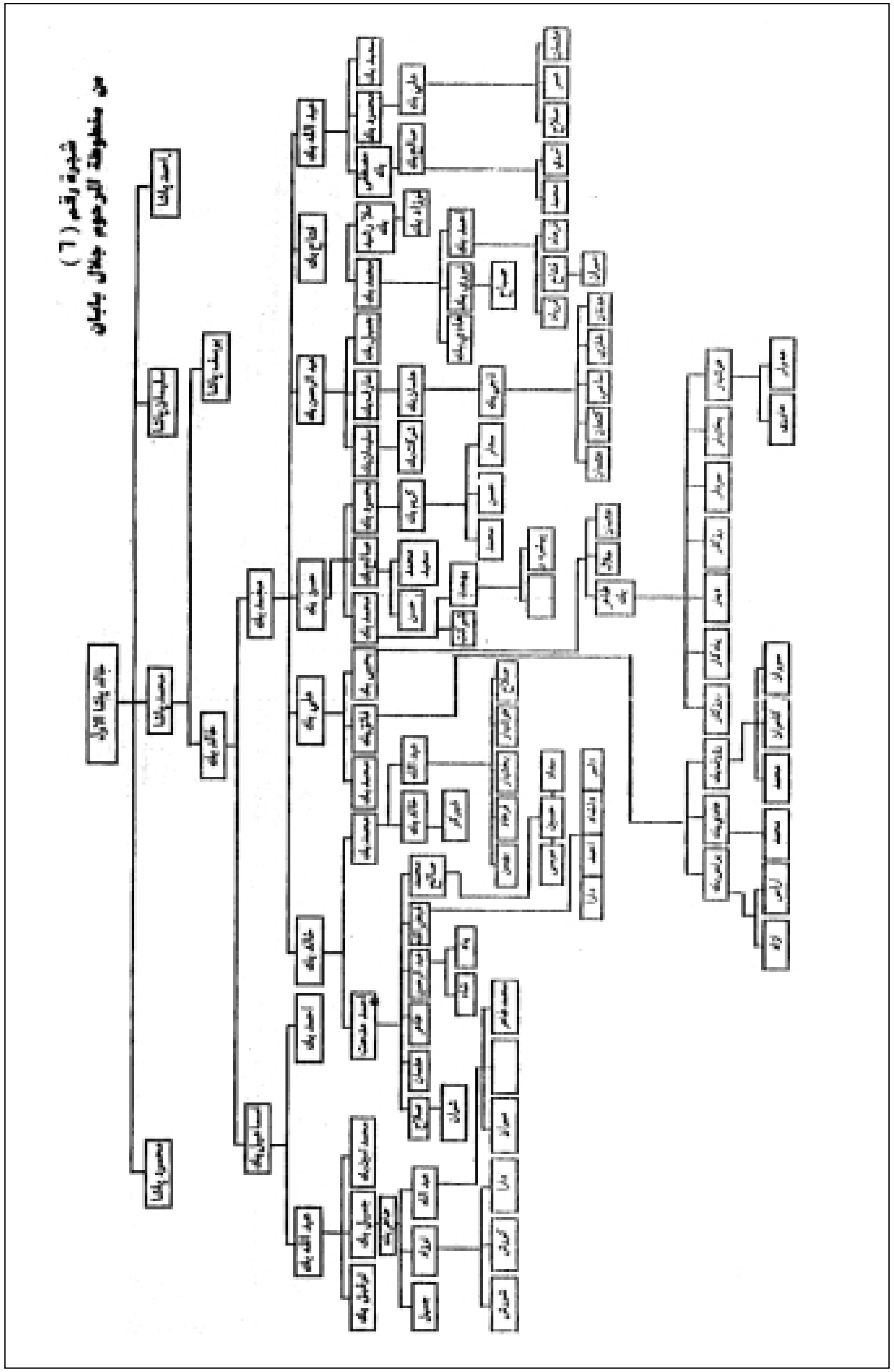
شجرة رقم (٦)
من مخطوطة المرحوم جلال بابان

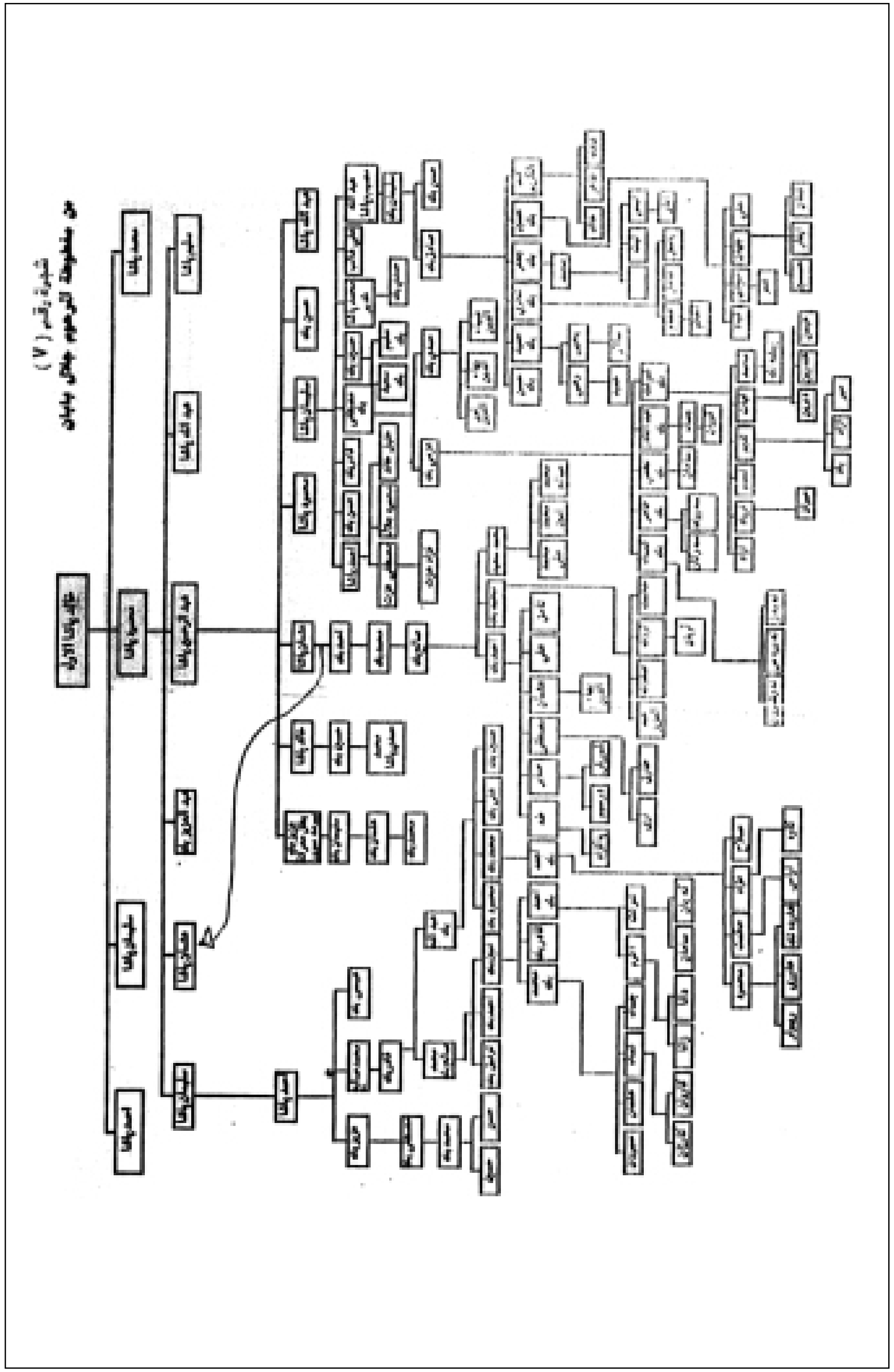
شجرة رقم (٧)
من مخطوطة المرحوم جلال بابان

شجرة رقم (٨)

رقم (١) من كتاب كرد وترك وعرب – أدمونذز

رقم (٢) من احد افراد الميراودليين (عبد الله اغا ابن احمد اغا بن رسول اغا) بن (قادر اغا بن احمد اغا الكبير) راجع العددين الموحدين من (مجلة المجمع العلمي العراقي – الهيئة الكردية . الثالث والعشرين والرابع والعشرين) فيهما التفصيلات الكاملة عن تاريخ عشيرة پشده ر – الميراودليين والشجرة بصورة كاملة بقلم جمال بابان .

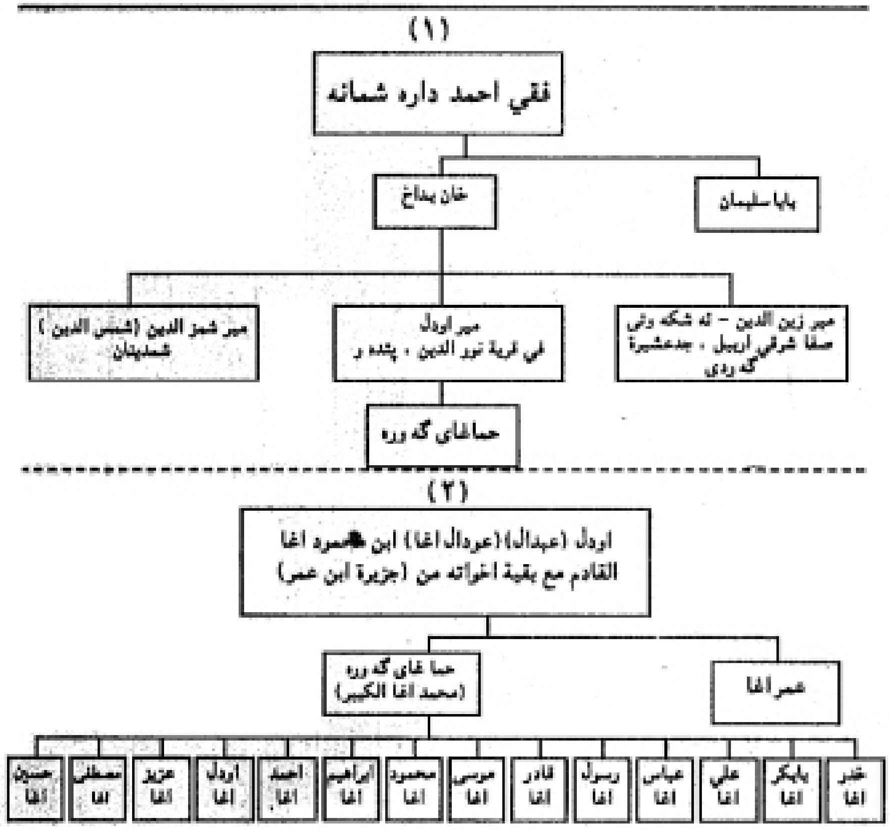

شجرة رقم (٩)

شجرة انساب فرع (فيض الله بگى) في ايران : تنظيم حسن صلاح سوران من الفرع نفسه .

نقلا من مجلة المجمع العلمي الكردي العدد (٥) لسنة ١٩٧٧ ص١١٢

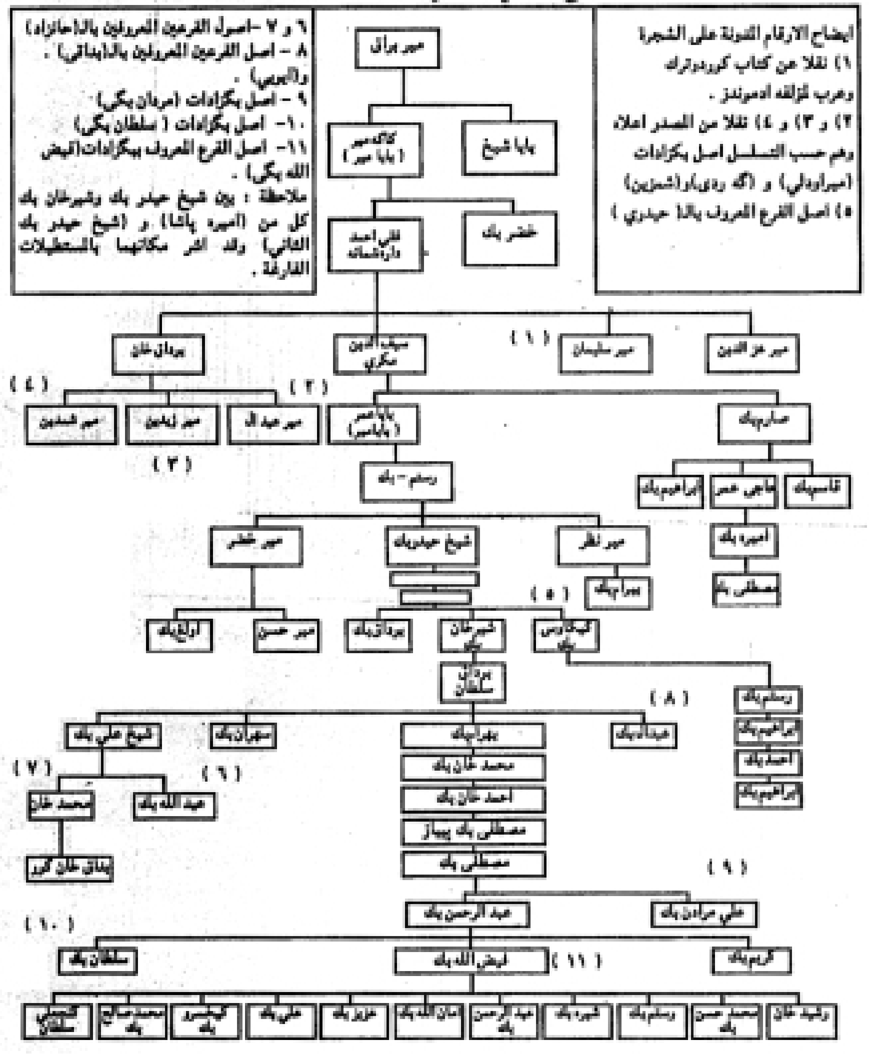

الأنموذج من خط المخطوطة

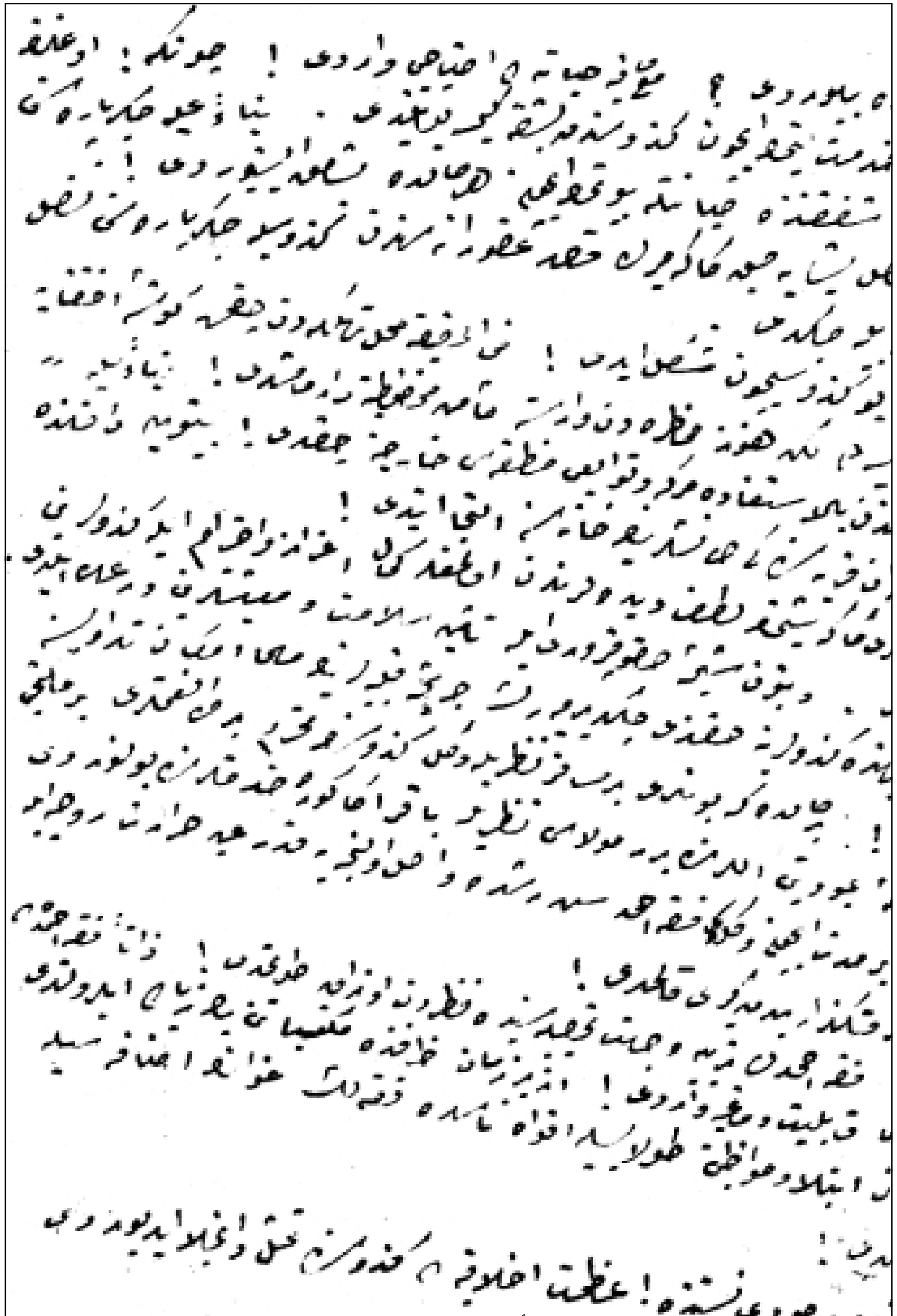

الأنموذج من خط المخطوطة

رعایت ایتمز اولورسه ! طالع حرب عسکر ترجیحی اعتقادنده خارج ایلدی ! ایلروده

بر بویوقخانه اوغرادیسه‌لر بزلره قوتلری ده علك بادره . بونك ایچون حرمیه رعایت

ایتمز ایجاب ایدر } دیمکله عسکرك معاشنه مانع اولدی . عسکر احمد افندینك بو یولده

لازمکه کفایه‌سنه المطلوع معلوم ایتدی . آره‌لرینه بالمذاکره احمد افندینك ایستدیکیلر

ملاحظه قرار ویردیلر دعوات قیامی ایچون نصف اللیلی تعیین و بر سنکلرینی مازیش

مقامنه تخصیص ایتدیلر . اوکیجه غایت شدتلی (دشمنلا) دیکله دوزنلرینی ایشلیورلر

و عسکر تهیه و جزاترینی اقتضایه یاردم ایدیلوردی . نصف اللیل حلول ایدنجه بودم

مقرر سنکلرینی عسکر قیام دعوت ایتدیلر . فی الحقیقه ده سنکه صدای اولنورینه

هر نفر کندی سلاحنی آلارق احمد افندی اوزرینه یوریدیکی بریاره ده ایشی بتوردیلر !

آنده موکره هیچ بر نفر قرارگاهده قالمدی . ایسه بو حاله وارده موکره انجق احمد پاشا

کیفیتی المطلوع معلوم ایدیلدی ! چه فائده که ایسه اولدیغنی . تعریجال تدوینی

حالات زمانه گیتدی ! بنا علیه احمد پاشا ایچون بالجمله بیتی ترابه اوردوجوانه

بنوبه کندوسی محمد نجیب پاشانك اسارتنده قورتارمقده حیات ترتیب بالجمیع جبهه‌لرده

تطبیق حرکت ایتدی : شمال ایالت وجهه عزیمت ایلك اول ایالته مظفر ایسه اوردوسنو

قالدیرمه اوزره قابلیتده استانبوله ترجیح عنایه عزیمت ایتدی !

احمد پاشا قومانده‌که بر غیر منتظم تفرقه اثناسنده دوقوز کلك بجال لطائف ایله بازنده وگیرکیم

۱۲۴۷ سنه‌سنده آرالرنده حیات ایدن حصوفی بابا خاصه‌ده بر شخص وار ایدی ! بو بیر

سالطوره‌ونك تشکلات وقوای بریه‌سی وفاتنه قدر بولنه ایدی !

کندوسنه‌که جابرقلیچ سیله متناسب دکلدی ! ایام بیسیه‌ده اکی زنبیلی انبساری

کبی سلاحنی قوشاندیر ، انواع تحافلقلرده بولنوردی ! هر جمعه کوفی جامعده وجابتوقد

هر بر کوشه‌سی باشنده طورور . اهالیه وعظ اوقوردی . فقط آنك اوقودیغی وعظ

خواجه‌لرك اوقودقلری وعظ صورتنده دکل کندوسنه مخصوص کولنجلی . وفقط مفید نصیحتلر

عبارتدی . ایشته بو شخص احمد پاشا زماننده طوپجی ایدی . کولیسنجه حایه‌سنه عسکر یروجه‌رده

طاغلرقدی . واحمد پاشاده قرارگاهده تابعه دیکر بر فرد اورده موجود قالمادیغنده

بزم بو صوفی بابا اوراده‌سه مأمور اولدیغی طوپلرده ایردی . احمد پاشانك عاقبت

تفرقه انکیزیه کیوسنلمی زرده‌سی محمد نجیب پاشا کیفیت احوالده معلومات حاصل ایدنجه لشکر اجه

پاشانك قرارگاهنده باقی قالمشه اولان جابار . واخرالعقد اوزرینه عسکر کوندریشسه

صوفی بابا طوپلرینی فعالیته کتیردی . ابو ایله بر زمانده عوارده عسکرینك بیانشجاسته بیندوریوردیکی

تیجه اعتبارله طوپلریله محمد نجیب پاشانك نزدینه کوتورلدیکی حالده . تلك باشنده واقع اولدیغی عادت

دستاغیرده متقصیه اولدیغنك سؤالی کندوسنه صورلدیغی :

— هر کس وظیفه‌سنه مسئولدر ! عسکرك لطافی ، بنم ذاتی ~~[illegible]~~ وظیفه‌مده

کرده قالماقلغی استلزام ایدیور . قصد تام اولدیغنده . بن وظیفه‌می کورمه . دیکرلرینه قالیشم

بو جوابه محمد نجیب پاشایه بك خوش کلدی . طلبه محتاج قلدیغی مکافاته قادر ایستدیکیله

358

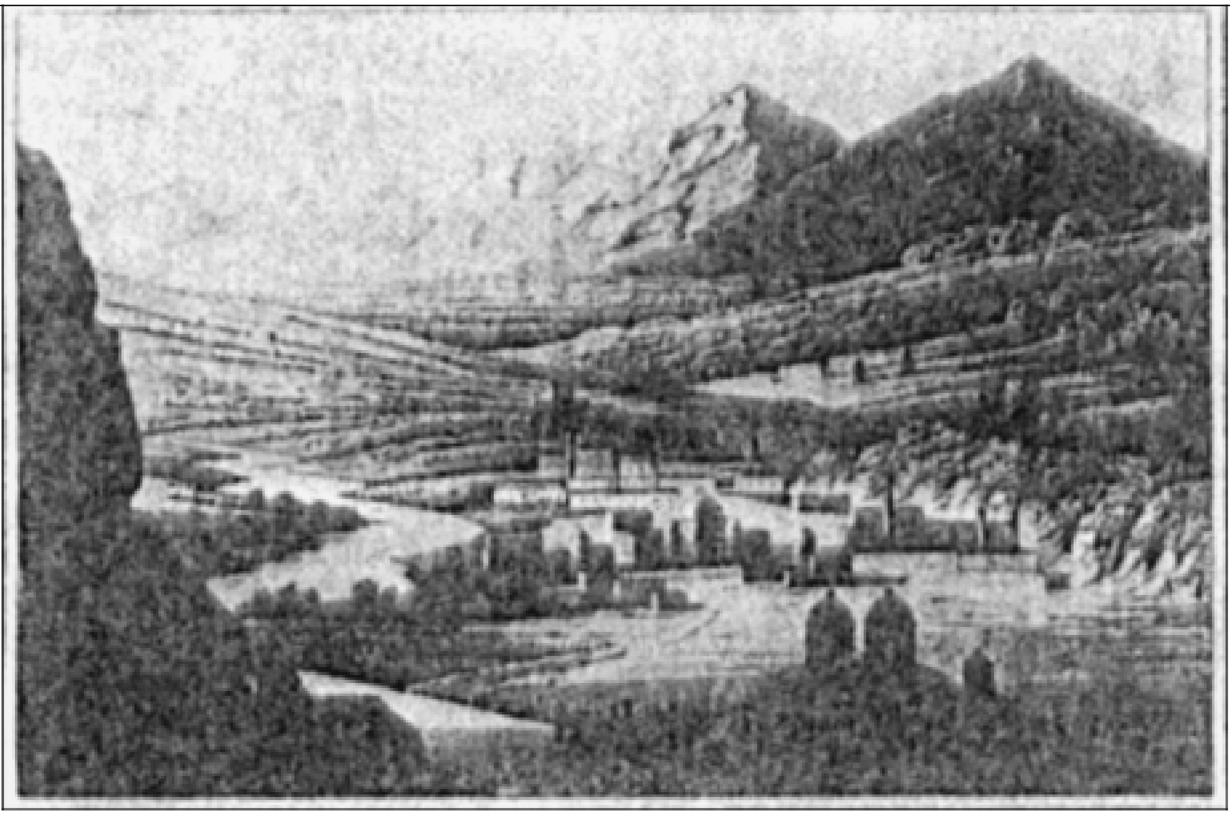

صورة مدينة السليمانية

William Heude, A Voyage up the Persian... London, :بريشة الفنان

357

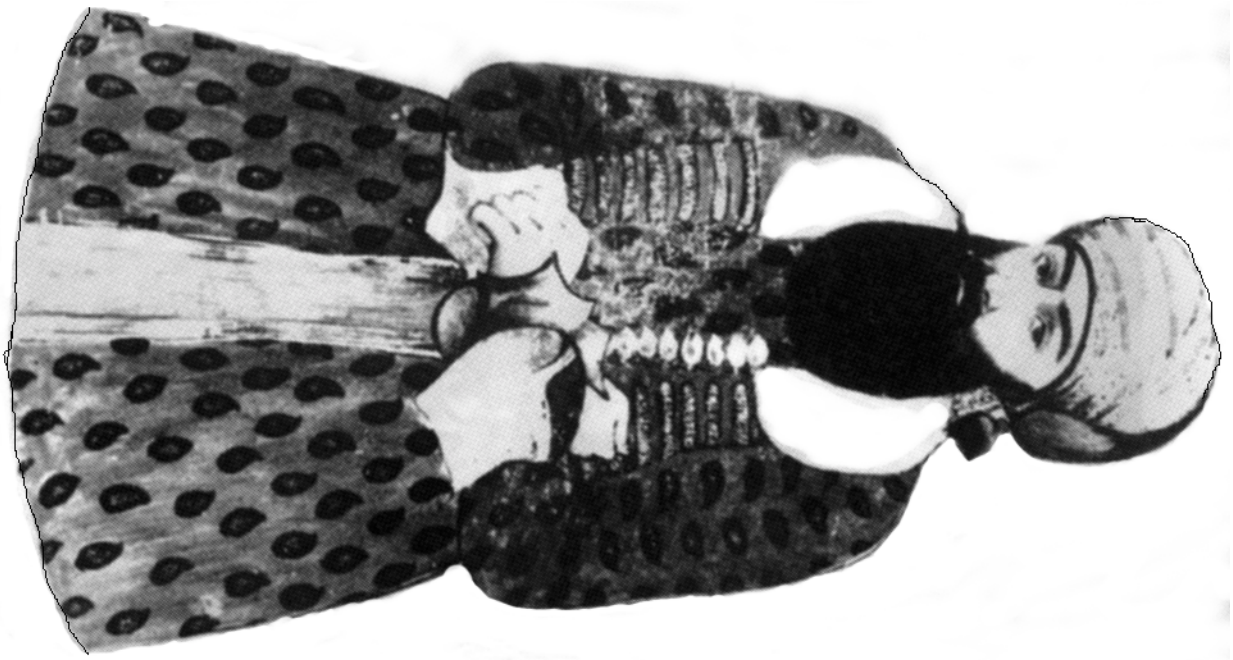

عبدالرحمان پاشا بابان